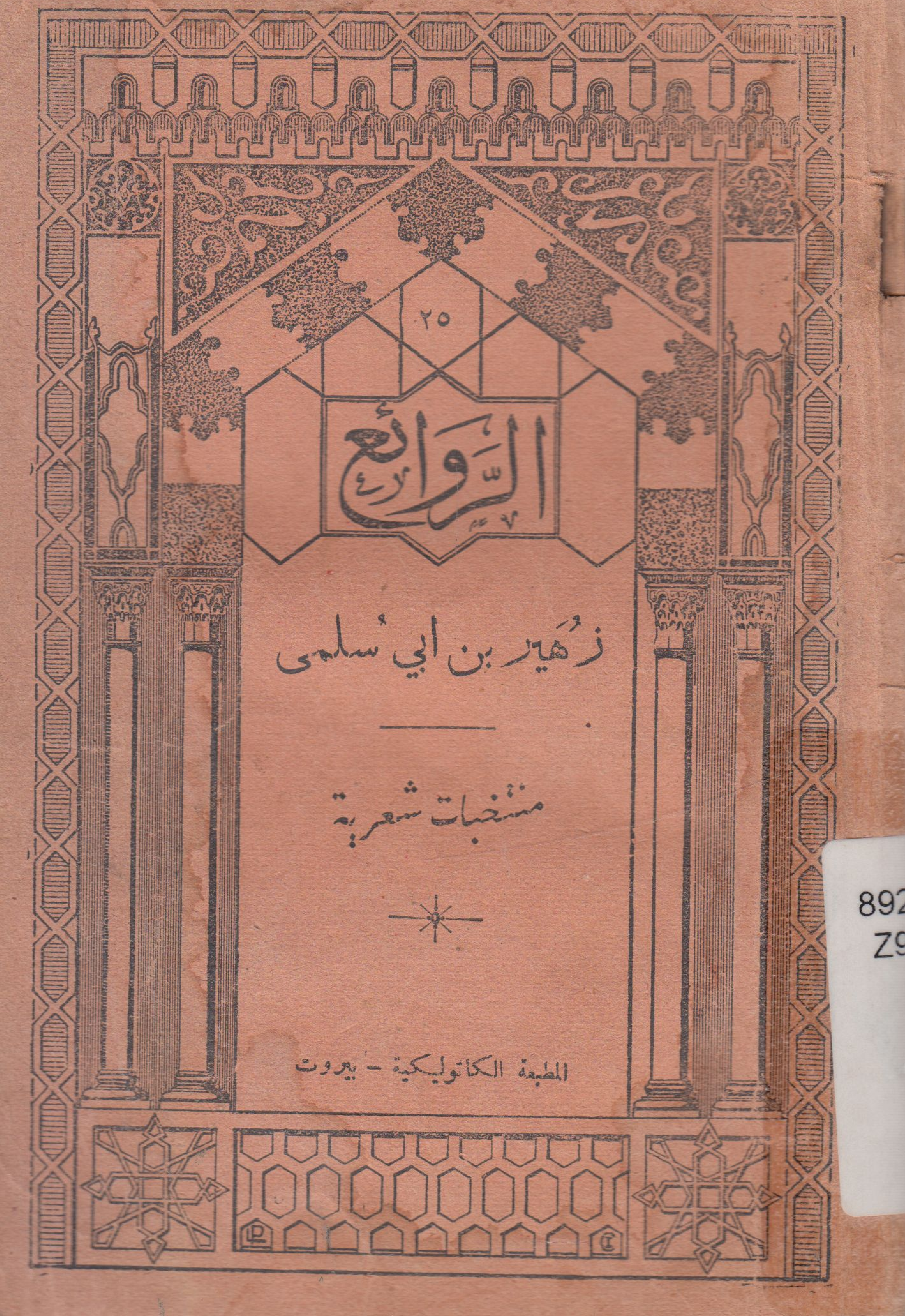

٢٥
الروائع
زهير بن ابي سلمى
منتخبات شعرية
المطبعة الكاثوليكية - بيروت
892
Z9

زُهَير بن ابي سُلمى

منتخبات شعرية

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

١٩٢٩

٢٥ — ١

زهير بن ابي سُلمى

٥٣٠ ؟ – ٦٢٧ ؟

امرؤ القيس ، النابغة ، زهير ! هم الثلاثة المقدَّمون على سائر شعراء الجاهلية ! يتفق الجميع على تقديمهم ، وان اختلفوا في تفضيل احدهم على صاحبيه . اما امرؤ القيس فعرفناه وصّافاً غاوياً [1] ، واما النابغة فستدرسه استاذاً في المدح والاعتذار [2] ، واما زهير فهذا هو

حياته

عصره

ان في اختلاف الروايات عن مآتي زهير في آخر حياته ما لا يمكن معه تعيين سنة وفاته بدقّة تاريخية . على اننا نجتهد في ان ندرس ما لدينا من المعلومات ، ونستنتج ما نراه اقرب الى المعقول :

يُجمع الرواة على انّ زهيراً كان من المعمّرين . ويقول زهير نفسه في البيت الثامن والاربعين من معلّقته :

سئمت تكاليف الحياةِ ، ومن يعش   ثمانين حولًا ، لا ابالك ، يَسأمِ !

فيذكر انه عاش ثمانين عاماً او ما يقرب منها . ثم نحن نعلم ان الشاعر نظم معلقته ليمدح سيّدين من بني مرّة سعيا بعقد الصلح بين عبس وذبيان ،

١) راجع الجزء السابع من « الروائع »
٢) اطلب الجزء الثلاثين من « الروائع »

بعد حرب داحس والغبراء. واذا درسنا الروايات المختلفة عن هذه الحرب ومدّتها ، نستنتج انها انتهت بين السنتين ٦٠٨ و ٦١٠ .[1] فنرى ، بالمقابلة بين هذه المعلومات ، ان زهيرًا وُلد حوالي السنة ٥٣٠ . اما سنة وفاته فتعيينها اصعب من ذلك .

ذكر صاحب الاغاني من حديثٍ رفعه ، ونقله عنه الكثيرون من مترجمي زهير ، ان محمدًا « نظر الى زهير بن ابي سلمى ، وله مائة سنة ، فقال : « اللهمّ اعذني من شيطانه ! » فما لاك بيتاً حتى مات » [2] وقد عيّن دي برسفال هذه الحادثة في سنة ٦٢٧ [3]

وذكر صاحب الاغاني ايضاً رواية اخرى عن آخر ايام زهير ، نقلها عبد القادر البغدادي في خزانة الادب وزاد عليها ، وهي عن ابي زيد عمر ابن شبة ، قال : « يروى ان زهيرًا كان نظّارًا متوقياً ، وانه رأى في منامه آتياً أتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسّها بيده . ثم تركه ، فهوى الى الارض . فلما احتُضر قصّ رؤياه على وُلده وقال : « اني لا اشكّ انه كائن من خبر السماء بعدي شيء . فان كان ، فتمسّكوا به ، وسارعوا اليه . » [4] وزاد البغدادي : انه توفي قبل المبعث بسنة ، اي نحو سنة ٦١١ مسيحية

ومهما يكن مبلغ هاتين الروايتين من الصحة ، فانهما تدلان دلالة واضحة على ان زهيرًا لم يعرف محمّدًا نبياً ، ولم يسمع به رسولًا ، وبالتالي

---

١) راجع ملخص الروايات من انتهاء هذه الحرب في A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes, t. II, p. 494-536*

٢) الاغاني ، ٩ : ١٤٨

٣) اطلب de Perceval, *op. cit., t. II, p. 531*

٤) الاغاني ، ١٥ : ١٤٩—١٥٠ ؛ وخزانة الادب ، ١ : ٣٧٧

انه مات قبل انتشار الاسلام بين قومه. يؤيد ذلك ايضاً ان بني غطفان، وهم القوم الذين كان ينزل فيهم زهير، دانوا بالاسلام في السنة الثامنة للهجرة اي ٦٣٠ [1]، وان ابني زهير اسلما في ذاك الوقت، فاسلم بُجير في اواخر السنة السابعة، وكعب في السنة التاسعة بعد ان انشد النبي قصيدته «بانت سُعاد» في احد مساجد المدينة [2]. ولا نعرف احداً من المؤرخين ولا من الرواة ذكر شيئاً عن زهير بهذه المناسبة. وعليه نرى من الغلط الاخذ بما تناقله معاصرونا من مؤرخي الآداب العربية [3] من ان زهيرًا توفي سنة ٦٣١ للمسيح، وهي توافق السنة التاسعة للهجرة، وكان الاسلام قد انتشر انتشارًا واسعاً، فدخل فيه قوم زهير عامّةً، وابناه خاصة، ومدح احدهما النبي بقصيدة خالدة. فكيف تجري هذه الحوادث حول زهير، على فرض انه كان لا يزال حياً، ولا يذكر احد من الرواة موقفه من هذا الدين الجديد، وعمله او رأيه تجاه دخول قومه فيه، ومدح ابنه لصاحبه.

---

١) اطلب [Encycl. de l'Islam] T. H. Weir, *Ghatafan.*

٢) اطلب [Encycl. de l'Islam] R. Basset, *Ka'b B. Zuhair*

٣) كجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٠٥ ، ومحمد عاطف ، ومحمد نصار ، واحمد ابراهيم ، وعبد الجواد المتعال : ادبيات اللغة العربية : ٦٢ ؛ ومحمد المرصفي : ادب اللغة العربية ، ٣٧ ؛ والشيخ مصطفى الغلاييني : رجال المعلقات العشر ، ١٢٦ و ١٣٠ ؛ واحد اخوة المدارس المسيحية : تاريخ الآداب العربية (طبعة ١٩١٤) ٤٤ ؛ ومؤخرًا الخوري نعمة الله المنداري : تاريخ آداب اللغة العربية ، ٣١ . وغريب من ادبائنا الافاضل ان يتناقلوا هذا الزعم — وهو واحد من الف — دون ان يعرضوه على الروايات المختلفة فيمحّصوا مصادره ويتجنبوا الوقوع في المغالطات والتناقض.

اذاً لا يمكن تعيين وفاة زهير بعد السنة ٦٢٩ ، فهي تتراوح بين السنة ٦١١ ، اذا تبعنا رواية حادثة الحلم ، والسنة ٦٢٧ اذا قبلنا رواية استعاذة النبي من لسان الشاعر . ونحن اميل الى هذه الاخيرة لان في ديوان زهير كثيراً من الشعر نظمه في مدح هرم بعد انشاء المعلقة ، اي بعد سنة ٦١٠ ، كما ذكرنا . على ان استنتاجاتنا تقف عند هذا الحدّ بسبب افتقارنا الى مصادر وثيقة

نشأته

اسمه — منزله

زهير بن ابي سُلمى ربيعة ، بن رياح ، بن قرَّة ، بن الحرث . . . من بني مزَينة ، خلافاً لما اعتقده ابن قتيبة [1] اذ نسبه الى بني غطفان . وما غطفان الا القوم الذين نزل بهم ابو الشاعر لاسباب منها انه تزوج امرأة من بني فهر بن مرّة من غطفان ، فاقام فيهم . وروي ايضاً انه انتقل عن قومه لخلاف حصل بينه وبينهم ، فنزل ارض غطفان ، في محلّ من نجد يقال له «الحاجز»

حظّ بيته من الشعر

وقد نشأ في بيت عريق في الشاعرية . فقد كان ابوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وزوج امه أوس بن حجر شاعراً ، واختاه سلمى والخنساء [2] شاعرتين . وولد ابنين شاعرين ، هما بُجير وكعب صاحب « بانت سُعاد » . وكان ابن ابنه ، المضرب بن كعب ، شاعراً ؛ وابن حفيده العوّام بن المضرّب شاعراً ايضاً . فاجتمع له ما لم يجتمع لاحد من الشعراء . ولعلّ

---

١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء — طبعة de Goeje — ٥٧

٢) الخنساء اخت زهير هي غير الخنساء السليمية الشاعرة المشهورة ، خلافاً لما اعتقد بعض المؤلفين

الشاعرية اتت مترجمنـــا من خال ابيه بشامة بن الغدير ، وكان شاعراً مشهوراً وسيداً غنياً ، وكان مقعداً ، ولا ولد له ، فاحبّ زهيراً واعتنى به ، والفه زهير فكان ينشده من شعره.

وكان بشامة ،على قول الاغاني ، احزم الناس رأياً . فكانت غطفان ، اذا ارادوا ان يغزوا ، اتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه . فاذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لافضلهم . فلما حضره الموت ، جعل يقسم ماله في اهل بيته وبين بني اخوته . فاتاه زهير فقال : « يا خالاه ، لو قسمت لي من مالك ! » فقال : « والله ، يا ابن اختي ، لقد قسمت لك افضل ذلك واجزله .» قال : « وما هو ؟ » قال : « شعري ورثتنيه ! » فقال : « الشعر شيء ما قلته فكيف تعتدّ به عليّ ؟ » فقال له بشامة : « ومن اين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى انك جئت به من مزينة ؟ وقد علمت العرب ان حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحيّ من غطفان ، ثم لي منهم ، وقد رويته عني . » [1] على ان هبة الشعر لم تمنع الشاعر المحتضر ان يخصّ زهيراً بشيء من ماله ، فجمع بين المنحتين

قوله للشعر

حولياته

في هذا البيت نشأ زهير ، فورث الشعر عن سلفائه ، ولزم ايضاً زوج امه ، وكان شاعراً مشهوراً كما قدَّمنا ، فروى له . وكان من نفسه ميَّالاً الى تنقيح شعره فاقام ينظم وينقّح حتى اشتهر ، وفاق على سابقيه . وقد روي انه كان يصرف اربعة اشهر في نظم القصيدة من قصائده المشهورة ،

---

١) الاغاني ٩ : ١٥٧

وينقحها في اربعة اشهر ، ويعرضها على اخصّائه في اربعة اشهر، فلا ينشرها الا بعد سنة ، ولهذا تُسمى بعض مطولاته «بالحوليات» . وقد اشار الى هذا الامر بهاء الدين زهير ، فقال من قصيدة :

هذا زهيرُك لا زهير مزينةٍ   وافاك لا هرماً على علّاته
دعه «وحولياته» ثم استمع   لزهير عصرك حسن ليليّاته.

وفي هذا العمل من الرويّة والتمعن ما كان جديراً بزهير وباخلاقه ، كما سنرى.

مدحه لهرم

وقد خصّ خير قصائده بمدح هرم بن سنان لما كان معروفاً به من الكرم، وحبّ السلام ، والاحسان . وكان هرم يُغدق على زهير مواهبه ، فيزيد هذا في مدحه . حتى روي ان هرماً حلف ان لا يمدحه زهير الا اعطاه ، ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلّم عليه الّا اعطاه عبداً او وليدةً او فرساً . فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان اذا رآه في ملأ ، قال: «عموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت !»[1] . وقد مدح زهير هرماً والحرث بن عوف في معلقته التي نظمها على اثر سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان ، كما سيأتي في الكلام على المعلقة .

طريقة معيشته

صفاته ، واخلاقه — ديانته .

كان زهير في غير قومه ، فلزمه ان يظهر بمظهر المتعقّلين الحكماء ، وكان رزيناً من طبيعته ، متروياً في اموره ، ناصحاً بما فيه الخير والسلام ؛

1) الاغاني ، ٩ : ١٥٤

فاكتسب احترام القوم، واتصل باشرافهم يمدحهم ويصلونه حتى كثر ماله، فكان يعيش عيشة السيد الحليم الوقور. وكان معروفاً بحب الحقّ، مشهوراً بالورع. وذكر ابن قتيبة [1] انه كان يتألّه ويتعفف في شعره. ويدلّ شعره على ايمانه بالبعث والحساب، كما في قوله:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى، ومهما يُكتمِ اللهَ يعلمِ،
يؤخَّرْ، فيوضعْ في كتابٍ، فيدَّخرْ ليوم الحساب، او يعجَّلْ فيُنقَمِ [2]

وقد استنتج الاب شيخو من هذا ومن اقوال غيرها للشاعر في المعنى نفسه، ان زهيراً كان نصرانياً [3].

زواجه

ولا يجرح هذا الاستنتاج ما نعرفه من ان زهيرًا طلّق امرأته الاولى، فان الطلاق كان عادةً جارية عند العرب، حتى النصارى منهم. وتفصيل الحادثة، على ما رواه ابن الاعرابي، انه كان قد تزوّج امرأة تكنى «ام اوفى» فولدت منه اولاداً ماتوا. ثم تزوّج بعد ذلك امرأة اخرى، اسمها كبشة بنت عمّار من غطفان، [4] وهي ام ابنيه كعب وبجير. فغارت الاولى من ذلك واذته. فطلقها ثم ندم [5]. وقد طال ندمه، على ما يظهر، حتى انه ذكر «ام اوفى» في مطلع معلقته التي نظمها وهو في الثمانين من العمر

وفاته

وبعد ان شبع زهير من العمر، والجاه، توفي في زمن تكلمنا عنه في اول هذا الدرس. فرثته اخته الخنساء.

---

١) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٥٨ ٢) المعلقة: ٢٧-٢٩
٣) الاب شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ص ٤٣١-٤٣٢
٤) الاغاني ١٥: ١٤٧ ٥) الاغاني ٩: ١٥٧

آثاره

الديوان

لزهير ديوان شعر معروف شرحــه علماء عدة. الا ان اكثر شروحــه ضاعت . وقد نشر بالطبع شرح الاعلم الشنتمري (+ ١٠٨٣) في ليدن، سنة ١٨٨٨،بعناية المستشرق لندبرغ (Landberg) ، ثم طبع الشرح ذاته في مصر سنة ١٣٢٣ هـ . (١٩٠٥) بعناية محمد بدر الدين النعساني. وكان اول من نشر الديوان، دون شرح، المستشرق وليم بن الورد (Ahlwardt) مع دواوين النابغة ، وعنترة ، وطرفة ، وعلقمة ، وامرئ القيس ، فطبعها في لندن سنة ١٨٧٠ بعنوان « كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين». ثم نشر المرحوم الاب شيخو شعر زهير مع ترجمته ، في مجموعته الكبيرة المعروفة « بشعراء النصرانية » ، سنة ١٨٩٠ . وكان ان المستشرق ديروف (Dyroff) وقف على بعض مقــاطع تُنسب لزهير غير واردة في ديوانه ، فجمعها وعلّق عليها وطبعها في مونيخ سنة ١٨٩٢

اما محتويات الديوان فاكثرها في مدح هرم بن سنان وابيه وقومــه ، ومدح الحرث بن عوف ؛ وقليل منها في الهجاء ، وقليل في الفخر . يتخلل كل ذلك كثير من الحكم . وقد اجتهدنا ، ان نمثل جميع هذه الانواع في « المنتخبات » ، مستندين الى شرح الشنتمري في ما خصّ الديوان ، والى شرح الشنتمري ، والزوزني ، والتبريزي ، والانباري ، والنحاس ، في ما خصّ المعلقة .

المعلقة

شروحها — طبعاتها — ترجماتها .

معلقة زهير ميمية من البحر الطويل يبلغ عدد ابياتها ٥٩ في رواية الانباري والنحاس والتبريزي، و٦٤ في رواية الزوزني، وهي التي اتبعناها. وقد اهتمّ بها علماء اللغة اهتمامهم بسائر المعلقات، ان لم نقل اكثر، فشرحوها الشروح الوافية، اشهرها شرح الزوزني مع المعلقات الباقية، طبع طبعاً حجرياً بخط ابي صعب في دير القمر سنة ١٨٥٣، وشرح التبريزي مع باقي المعلقات ايضاً، طبعه في كلكتا المستشرق لايل (Lyall) سنة ١٨٩٤، وشرح الشنتمري مع شرح سائر الديوان، وقد ذكرنا مكان طبعه وزمانه. وافرد لها ابو بكر محمّد بن القاسم الانباري مجلّدًا خاصاً طبعه المستشرق ريشر (Rescher). وكذلك خصها الشيخ ابو جعفر احمد بن محمّد ابن اسمعيل النحاس بمجلّد منفرد قام بطبعه المستشرق هوشير (Hausheer) في برلين سنة ١٩٠٥

اما اول من نشر المعلقة فكان المستشرق روزنمولّر (Rosenmüller) طبعها في ليبسيك سنة ١٧٩٢ مع ترجمة وشروح باللغة اللاتينية.

وللمعلقة، عدا هذه الترجمة اللاتينية، ترجمات الى اللغات الاوربية منها ترجمة دي برسفال (de Perceval) الفرنساوية في الجزء الثاني من من كتابه في تاريخ العرب [1]، المطبوع في باريس سنة ١٨٤٧، وترجمة لايل (Lyall) الانكليزية في ترجماته للقصائد العربية القديمة، المطبوعة في لندن سنة ١٨٨٥

1) de Perceval, *op. cit. T. II, p.* 531.

ظروف نظمها : حرب داحس والغبراء

كان لقيس بن زهير ، سيّد بني عبس ، فرس يُقال له داحس، ولحمل ابن بدر، سيّد بني فزارة من ذبيان حجرة يُقال لها الغبراء . فتراهن الاميران على الفرسين ايهما يكون له السبق . ولما كان اليوم المشهود اكمن حملُ بن بدر في بعض شعاب على الطريق فتياناً ، وامرهم ان جاء داحس سابقاً ان يردّوه عن الغاية . فكان كذلك . فهاج بنو عبس ونشبت الحرب بينهم وبين بني ذبيان مدّة تعددت فيها القتلى من الفريقين . حتى اخذ العقّال ، ومنهم هرم بن سنان والحرث بن عوف ، بالسعي في عقد الصلح وحقن الدماء ، على ان يحسب كل فريق قتلاه ، وتُحمل الديات الى اهل من لم يُثأر من القتلى . ويروى ان هذه الديات بلغت ثلاثة آلاف بعير تحملها المصلحان المذكوران في ثلاث سنين . فاطمأنّ الناس الى المسالمة ودخلوا في الصلح ، الا حصين بن ضمضم المرّي ؛ وكان احد العبسيين ، واسمه وَرد بن حابس ، قتل اخاه هرماً قبل الصلح . فاقسم حصين ان لا يغسل رأسه حتى يقتل ورد ابن حابس ، او رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب ، اهل ورد . ولم يطلع احُدا على قسمه هذا .

فكان ان اقبل رجل من بني عبس حتى نزل بحصين . فقال له هذا : « من انت ايها الرجل ؟ » قال : « عبسي ! » فقال : « من اي عبس ؟ » فلم يزل ينتسب حتى انتسب الى غالب . فقتله حصين . وبلغ ذلك الحرث ابن عوف وهرم بن سنان فاشتدّ عليهما . اما بنو عبس فهاجوا لقتل صاحبهم ، واتهموا القوم بالخيانة والغدر ، وركبوا نحو الحرث يريدون قتله . فلما بلغه ذلك ، بعث اليهم بمائة من الابل معها ابنه ، وقال للرسول : « قل لهم :

«الابل احبّ اليكم ام انفسكم ؟ » فاقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . وكان فيهم الربيع بن زياد ، وهو ذو رأي ودهاء ، فقال لهم : « يا قوم ، ان اخاكم قد ارسل اليكم : « الابل احب اليكم ام ابني تقتلونه مكان قتيلكم ؟ » فقالوا : « بل نأخذ الابل ، ونصالح قومنا ، ونتمّ الصلح .» وهكذا كان . فانشأ زهير عند ذاك معلقته يمدح بها المصلِحَين ، ويحذر الاحلاف من شرّ الخيانة واضمار الحقد ، ويتبسط في وصف الحرب ونتائجها المذمومة ، منتهياً بحكمه المشهورة .

اقسامها

وهذه اقسامها بالتفصيل :

١ – التغزّل ووصف الاطلال والرحيل وصفاً دقيقاً (البيت ١–١٦)

٢ – مدح هرم بن سنان والحرث بن عوف : كيف اصلحا بين القبيلتين (١٦–٢٦)

٣ – نصائح للمتصالحين :

ا – يجب الا يضمروا الحقد لان الله عالم بما في الصدور (٢٦–٢٩)

ب – تحذير بني عبس من الحرب : وصف اهوالها ونتائجها (٢٩–٣٦)

ج – الاعتذار عن بني ذبيان : ذكر حصين بن ضَمضَم (٣٦–٤٨)

٤ – الحكم (٤٨–٦٤)

قيمة شعره

قال ابن عباس : خرجت مع عمر في اول غزاةٍ غزاها ، فقال لي ذات ليلة : « يا ابن عباس ، انشدني لشاعر الشعراء . » قلت : « ومن هو ، يا امير المؤمنين ؟ » قال : « ابن ابي سلمى » قلت : « وبمَ صار كذلك ؟ » قال : « لانه لا يتبع حوشيّ الكلام ، ولا يعاظل من المنطق ، ولا يقول الا ما

يعرف ، ولا يمتدح الرجل الّا بما يكون فيه . أليس الذي يقول :

«اذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةً   من المجد ، من يسبقْ اليها يسوَّدِ ،
سبقتَ اليها كلَّ طلقٍ مبرّزٍ   سبوقٍ الى الغايات غير مجلَّدِ .»(١

انشدني له . فانشدته ، حتى برق الفجر . فقال : « حسبك الآن ! اقرأ القرآن » قلت : « وما اقرأ ؟ » قال : « اقرأ الواقعة . » فقرأتها . ونزل فأذّن وصلّى .(٢

وكان عمر يرغب في شعر زهير ويقدّمه ، وفي ذلك كثير من الاخبار ، منها انه قال لبعض وُلد هرم : « انشدني بعض مدح زهير أباك . » فانشده . فقال عمر : « ان كان ليحسن فيكم القول ! » قال : « ونحن ، والله ، ان كنا لنحسن له العطاء . » فقال : « قد ذهب ما اعطيتموه ، وبقي ما اعطاكم ! » وفي حديث عمر بن شبّة ان عمر بن الخطاب قال لابن زهير : « ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك ؟ » قال : « ابلاها الدهر ! » قال : « لكن الحلل التي كساها ابوك هرماً لم يبلها الدهر ! » (٣ وكثيراً ما كان عمر يقول : « اشعر الشعراء من يقول : « من ومَن ومَن . . . »

سأل معاوية الاحنف بن قيس عن اشعر الشعراء فقال : « زهير ! » قال : « وكيف ؟ » قال : « القى عن المادحين فضول الكلام ! » قال : « مثل ماذا ؟ » قال : « مثل قوله » :

« فما يكُ من خيرٍ أتوه ، فانما   توارثه آباء آبائهم قبلُ ! » (٤

---

١) اطلب المنتخبات ، ص : ٣٢
٢) الاغاني ٩ : ١٤٧ — ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٦١
٣) الاغاني ٩ : ١٥٤
٤) الاغاني ٩ : ١٤٧ — اطلب المنتخبات ص : ١٧

قال المدائني: قال عبد الملك بن مروان: «ما يضرّ من مُدح بما مَدح به زهير آل ابي حارثة من قوله:

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلّين السماحة والبذلُ (١

ان لا يملك امور الناس!» (يعني الخلافة) ثم قال: «ما ترك منهم زهير غنيًّا ولا فقيرًا الا وصفه ومدحه.»

وجرى ذكر الشعر في ديوان عبد الملك فسأل قوماً من الشعراء «اي بيت امدح؟» فاتفقوا على قول زهير:

تراه، اذا ما جئته، متهلّلا كانك تُعطيه الذي أنت سائله (٢

قال ابن الاعرابي: أُنشد عثمان بن عفّان قول زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلمِ (٣

فقال: «أحسن زهير وصدق! لو ان رجلًا دخل بيتاً في جوف بيت، لتحدّث به الناس!» (٤)

قال بعض الرواة: لو ان زهيرًا نظر في رسالة عمر بن الخطّاب الى ابي موسى الاشعري، ما زاد على ما قال:

فان الحقّ مقطعه ثلاث يمينٌ، او نفارٌ، او جلاءُ! (٥

يعني يمينًا او منافرةً الى حاكم يقطع بالبيّنات، او جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح به الدعوى.

قال محمّد بن سلّام: «من قدّم زهيرًا احتجّ بانه كان احسنهم شعرًا،

---

١) اطلب المنتخبات، ص: ١٧ ٢) اطلب المنتخبات، ص: ٢٩
٣) المعلقة: ٦٠ ٤) الاغاني ٩: ١٥٤
٥) المنتخبات، ص: ٣٢ ٦) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٥٩

وابعدهم من سخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفـاظ ، واشدّهم مبالغة في المدح ، واكثرهم امثالا في شعره .» [1]

هذا قليل من كثير مما يُروى عن تفضيل زهير على غيره من الشعراء ، وعن الحوادث المتعلقة بذلك، وعن اسماء الادباء والشعراء الذين يفضّلونه ، وممن لم نذكرهم الحطيئة وجرير ، وكان الاول يلازمه ويروي له .

وما هذه الروايات سوى براهين واضحة على تأثير شاعرنا في الجاهليين والاسلاميين ، وانتشار اقواله الحكمية بين الامراء وكبار الادباء ، وتذوّقهم لما فيها من دقة الفن . ونحن اذا درسنا اسباب هذا التفضيل رأينا ان الاقدمين كانوا يرون في شعر زهير ستّ صفات تحملهم على تقديمه، وهذه هي كما تستخلص من اقوال الاقدمين المختلفة ، وتختص الاوليان منها بالمعنى ، والاربع الباقية بالمبنى :

١ً ـــ الصدق . فانه «لا يقول الا ما يعرف ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه .» وهذا لا يمنع انه كان «يبالغ في المدح» كما قال ابن سلّام، اي يتتبع صفات الممدوح ، دون ان يزيد عليها .

٢ً ـــ الرزانة والتعقل وهي ظاهرة في حكمه البليغة . ويقابلها ، من حيث المبنى ، رغبته في ايراد الامثال .

٣ً ـــ الايجاز . وهو ما عبّر عنه ابن سلّام «بجمع الكثير من المعاني في القليل من الالفاظ» وهو نتيجة التنقيح والتهذيب الذي عُرف به زهير

٤ً ـــ السهولة . وهي نتيجـة تجنب المعاظلة التي ذكرها عُمر —

---

١) الاغاني ٩ : ١٥٨

والمعاظلة : التعقيد وتداخل الكلام بعضه ببعض — والبعد عن الحوشي والغريب.

٥ — حذف فضول الكلام الذي ذكره الاحنف وقلة السخف التي ذكرها ابن سلّام.

٦ — الاكثار من الامثال والحكم. وهي تقابل الصفة الثانية

هذا ما كان يرى قدماء الادباء في شعر زهير من الصفات الحسنة واكثرها تتعلق بالمبنى. اما نحن اليوم فلا نزال نراها ، ونرى ، فضلاً عنها ، صفات اخرى تزيد الشاعر قيمة في اعيننا لاننا ننظر فيها من حيث فنّ التعبير الشعري العامّ ، بصرف النظر عن الصناعة الجاهلية ، ونقارن بينها وبين ما عرفناه من اخلاق الشاعر وصفاته. فنتحقق في شخصية زهير الادبية اشياء اشترك فيها مع سائر الشعراء الجاهليين ولكنه فاقهم في ابرازها باوفر وضوح ، واشياء امتاز بها عليهم جميعاً :

اما ما فاق به زملاءه فهو ذاك التصوير الحسّي الذي يكاد يُلمس فتقرّ به العين وتطمئنّ الى انه ينال النهاية في الفنّ. وهي طريقة عامّة في الشعر الجاهلي ، ولكنها تفوق مع زهير حدّ المعتاد فيستعملها في كل موضوعاته تقريباً سواء المدح ، والتهديد ، والهجاء ، والوصف. فهو وصّاف قبل كل شيء. ويكفي ان نذكر تلك الصور البديعة التامة في وصف ارتحال الاحبة ، وطريقة سفرهم ، ومنازلهم. فهو لا ينسى شيئاً من الموصوفات مادّة ، وتركيباً ، ولوناً ، وما اجمل ذكره للون قطن الهوادج اذ يقول :

كأن فُتات العهن في كل منزلٍ ... نزلن به ، حبّ الفنا لم يحطَّمِ (١)

---

(١) المعلّقة : ١٢

وتلك الصور المريعة المتراكمة في وصف الحرب . وهي اشهر من ان نذكرها .(١

وتلك الصور اللطيفة الطبيعية في وصف الصيد ، والجواد ، والغلام . وما اتمّ صورة ذاك الحمار الوحشي الراتع في الارض المخصبة ، والذي

قد اخضرّ من لسّ الغَميرِ جحافِلُهُ (٢

ولا يختلف زهير المصوّر في المدح وايراد الحكم عنه في الوصف . فهو هو ، لا يعرف سبيلًا الى اظهار المعقولات الا الصورة الحسيّة الغنية بالرسوم والالوان ، فيرقى درجةً ساميــة من الفنّ . وينــال تأثيرًا وافرًا في نفس السامع . ومن يراجع قصائده في المدح والحكم يتحقق هذا القول .

واما ما امتاز به عن غيره من الشعراء فهو التناسق والترتيب المعقول الذي نراه في صوره وافكاره ، والذي نغبط به لاننا قلما تعوّدناه في الشعر القديم . وهذا التناسق نتيجة ما عُرف به الشاعر من الرزانة والتعقل ، وحبّ السلام ، وطمأنينة المعيشة . فقد كان حكيماً في حياته . فظهرت حكمته في شعره معنًى ومبنى :

فهو حكيمٌ في تلك الافكار المعقولة والآراء الصائبة التي بثّها في كل قصائده ، وخصّ منها المعلقة بجانب مهمّ . فهذه الحكم ، وان لم تَنمُ الى ما فوق الارضيات ، تظهر دستورًا تامًّا لحياة البدويّ في ذاك العصر ، ومن الظلم ان نطلب منهُ السموّ الى ما وراء المادّة .

حكيمٌ في تحديده مقاطع الحقّ في ذاك البيت المشهور الذي اكتسب له اسم « قاضي الشعراء . »

---

١) اطلب المعلّقة : ٢٩–٣٤ ٢) اطلب المنتخبات ، ص : ٢٧

حكيمٌ في حبه للصلح والسلام ومدحه الساعين به .

حكيمٌ في تحذيره المتصالحين من الانتقاض ، وتصويره امامهم فظائع الحرب ونتائجها المذمومة .

حكيمٌ في ردّه على بني سُليم وبني هوازن وقد علم انهما عازمان على غزو غطفان .

حكيمٌ في تأسفه على هجاء بني حصن وتسرّعه في تصديق خبر كاذب .

حكيمٌ في عدم تعدّيه ما يعرف من صفات الممدوحين وتجنبه المبالغة

حكيمٌ في تناسق افكاره واجتهاده في ترتيب صوره كما قلنا . وذلك نتيجة تنقيحه لشعره الذي كان فيه ايضاً من جملة الحكماء .

فيمكننا اذاً ان نختم واصفين زهير ، من بين شعراء الجاهلية جميعهم ، بانه « الشاعر الحكيم ! »

مآخذ

راجع اجمالاً ما ذكرناه في مآخذ الشعر الجاهلي (الروائع ٢ : ٤٣) ومآخذ امرئ القيس (الروائع ٧ : ش) وفي شروح المعلقات ، وخصوصاً ما يلي :

ديوان زهير مع شرح الاعلم الشنتمري — طبعة النعساني — مصر ١٣٢٣

معلقة زهير — شرح النحاس — طبعة هَوسهير Hausheer — برلين ١٩٠٥

معلقة زهير — شرح الانباري — طبعة رِيشر Rescher

ابو زيد القُرشي : جمهرة اشعار العرب ، مصر ١٣٣٠هـ . (١٩١١) ص ١٠٥

ابن قتيبة : الشعر والشعراء — طبعة de Goeje — ليدن ١٩٠٢ ، ص ٥٧

ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، بولاق ١٨٦٨ ، الجزء ٩ : ١٤٦

عبد القادر البغدادي : خزانة الادب ، بولاق ، الجزء ١ : ٣٧٥

البستاني : دائرة المعارف ، الجزء التاسع .

الاب لويس شيخو : شعراء النصرانية ، بيروت ١٨٩٠ ، ص : ٥١٠

A. P. Caussi·· de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes, Paris, 1847. t. II.*



القسم الاول

المعلقة

التغزّل ووصف الاطلال

أمِن أمّ اوفى دِمنةٌ لم تكلّمِ ، بحومانة الدرّاج ، فالمتثلّمِ ، (١)
ودارٌ لها بالرقمتين ، كأنّها مراجيعُ وشمٍ في نواشرِ مِعصمِ (٢)
بها العِينُ والأرآمُ يمشين خِلفةً ، وأطلاؤها ينهضنَ من كل مجثمِ (٣)
وقفتُ بها ، من بعد عشرين حجّةً ، فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهّمِ : (٤)

---

١) ام اوفى : كنية امرأة الشاعر الاولى . الدِمنة : ما اسودّ من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرها . حومانة الدرّاج : ماء بنجد على طريق البصرة الى مكة . المتثلّم : موضع قريب منه – المعنى : امِن منازل الحبيبة المكنية بأمّ اوفى هذه الدمنة التي لا تجيب اذا كلمتها ! – فتكون صيغة السؤال للتوجّع ، او للشكّ كما قال الزوزني ، ذاكراً ان الشاعر اراد ان يدلّ بذلك « على انه لبعد عهده بالدمنة وفرط تغيّرها ، لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق . . »

٢) دارٌ : معطوف على دمنة . وفي رواية الانباري : « ديارٌ » . الرقمتان : موضعان مرتفعان احدها قرب المدينة ، والثاني قرب البصرة . اراد اما ان دارها كانت بين الرقمتين ، وأما انها كانت بالاولى حيناً وبالاخرى حيناً آخر ، وفقاً لزمن الانتجاع . مراجيع : ج . مرجوع : اراد به الوشم المردّد ، المجدّد . وفي روايات الشنتمري والانباري والنحاس : « مراجع » . نواشر : ج . ناشر : العرق . المعصم : موضع السوار من الزند .

٣) العِين : ج . العيناء . الواسعة العَين : صفة لبقرة الوحش المحذوفة . الأرآم : ج . رئم : الظبي الخالص البياض . خِلفةً : اي يخلف بعضها بعضاً اذا ذهب قطيع جاء آخر . الأطلاء : ج . طَلاء : ولد الظبية والبقرة الوحشية .

٤) الحِجّة : السنة . اللأي : الجَهد والمشقة – وقفت بدار أم اوفى ، بعد انقضاء عشرين سنة ، فلم اعرفها الا بعد مشقة لتغيّرها عما كانت عليه ولطول العهد بها .

٥ أثافيَّ سُفعاً في معرَّسِ مِرجَلٍ ، ونُؤْياً كجِذمِ الحوضِ لم يتثلّمِ [١]

فلما عرفت الدارَ ، قلت لرَبْعِها :
« ألا انعِمْ صباحاً ، ايها الربعُ ، واسلمِ ! » [٢]

تبصّر ، خليلي ، هل ترى من ظعائنٍ
تحمّلن بالعلياء من فوق جُرثُمِ ؟ [٣]

علونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكِلّةٍ وِرادٍ ، حواشيها مشاكهةُ الدمِ [٤]

جعلن القَنانَ عن يمينٍ ، وحزنَه ، وكم بالقنانِ من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ ! [٥]

---

١) الأثافي : ج. الإثفيّة : حجارة تنصب فتوضع عليها القدر . السُفع : السود يخالطها حُمرة . المِرجل : القدر . ومعرَّسه : الموضع الذي يوضع عليه . النؤي : نُهير يُحفر حول المضرب ليجري فيه ماء المطر ، ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت . الجِذم : الاصل . لم يتثلّم : اي ان حاجز هذا النؤي لم يتكسّر . ونصب الاثافي على البدل من الدار .

٢) الرَبع : موضع النزول في الربيع ، والمراد هنا الدار مطلقاً . انعم صباحاً : اي طاب عيشك في صباحك ، من النعمة . وفي رواية الشنتمري : « الا عِمْ صباحاً »

٣) في ترتيب الابيات ٧ — ١٥ اختلاف بين الزوزني والشنتمري والنحاس والانباري ، فاجتهدنا في ترجيح الترتيب المعقول وتبعنا على الغالب طريقة الانباري . الخليل : الصاحب . قال ابو جعفر : قوله « تبصّرْ خليلي » معناه انه هو شُغل بالبكاء فطلب من خليله ان يرى . الظعائن : ج. الظعينة : المرأة في الهودج . العلياء : الارض المرتفعة او هي بلد . جُرثُم : ماء لبني اسد .

٤) الانماط ج. نمط : ما يُفرش من الثياب . العتاق : الجياد . الكِلّة : الستر ، ما يُعرف بالناموسية . وراد : ج. وَرْد : احمر . مشاكهة : مشابهة . وفي رواية الانباري :

وعالينَ انماطاً عتاقاً وكِلّةً وِراد الحواشي ، لونُها لونُ عندمِ

٥) القنان : جبل لبني أسد . الحَزن : الارض الغليظة المرتفعة . المُحِلّ : الذي لا عهد له ولا جوار . المحرم : ضدّ المُحِلّ . وكم بالقنان . . . : اي في هذا الجبل كثير من الاعداء والاصدقاء . وفي رواية الاصمعي « ومن بالقنان . . . »

ظهرن من السوبان ، ثم جزعنَه ، على كل قينيٍّ ، قشيبٍ ومُفأمِ [1]
وورّكن في السوبانِ ، يعلون متنَه ، عليهنَّ دلُّ الناعمِ المتنعِّمِ [2]
كأنَّ فُتاتَ العِهنِ في كل منزلٍ نزلنَ به ، حبُّ الفَنا لم يُحطَّمِ [3]
بكرنَ بكورًا ، واستحرنَ بسُحرةٍ فهنَّ ووادي الرسِّ ، كاليدِ في الفمِ ، [4]
فلما وردْنَ الماءَ زُرقًا جِمامُه ، وضعنَ عِصيَّ الحاضرِ المتخيِّمِ [5]
وفيهن ملهىً للطيف ، ومنظرٌ أنيقٌ لعين الناظرِ المتوسِّمِ ! [6]

مدح بطليه : كيف اصلحا بين القبيلتين

سعى ساعيا غيظِ بن مرّة ، بعدما تبزّلَ ما بين العشيرةِ بالدمِ . [7]

---

١) السوبان : اسم وادٍ . جزعنه : قطعنه . — اي خرجنَ من هذا الوادي ثم عرضَ لهنّ مرةً اخرى لالتوائه فقطعنه . القيني : الرحل المنسوب الى بلقين : حيٌّ في اليمن . قشيب : جديد . مُفأم : مُوسَّع .

٢) ورّكن : ركبنَ اوراك الدوابّ . او ملن في الطريق . المتن : المرتفع .

٣) العهن : الصوف . الفَنا : شجر له حبٌّ احمر يسمّى عنب الثعلب . شبّه ما تساقط من الهوادج من نتف الصوف المصبوغ ، في حال النزول ، بهذا الحبّ الاحمر ، اذا لم يُكسر ، لان هذا الحبّ اذا حُطّم لا يبقى على لونه من الحمرة .

٤) استحر : سار سحرًا . الرسّ : ماء ونخل لبني أسد . كاليد في الفم : اي قصدن هذا الوادي فدخلنَ فيه كما تدخل اليد في الفم .

٥) الجمام : ج. جمّة : الماء : معظمه . العصيّ : ج. العصا . ووضع العصي والقاؤها : كناية عن الإقامة . الحاضر : المقيم . المتخيّم : الذي نصب خيمة .

٦) اللطيف : الذي يتلطّف في طلب اللهو . وفي رواية الشنتمري : « الصديق »

٧) غيظ بن مُرّة : بطن من ذبيان كان منه الساعيان بالصلح ، وهما هرم بن سنان — وذكر الانباري خارجة بن سِنان — والحرث بن عوف . تبزّل : تشقّق .

فاقسمت بالبيت الذي طاف حولــه
رجالٌ بَنَوْهُ ، من قُريشٍ وجُرْهُمِ ، [1]
يميناً ! لنعمَ السيّـدان وُجدتمـا على كل حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ [2]
تداركتما عبساً وذُبيان ، بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر مَنْشَمِ . [3]
وقد قلتما : « ان ندرك السلم واسعاً
بمــالٍ ومعروفٍ ، من الامر نسلم ! » [4]
فأصبحتما منها على خير موطنٍ ، بعيدين فيها من عُقوقٍ ومأثمِ ، [5]
عظيمين في عُليــا معدّ ، هُـديتما ،
ومن يستبحْ كنزاً من المجدِ يَعظمِ ! [6]

بالدم : اي باراقة الدم بعد عقد الصلح . اطلب ما قلنا في سبب نظم المعلّقة .

١) البيت : الكعبة . جُرهم : قبيلة قديمة كان منها وُلاة الكعبة قبل قريش .

٢) السحيل : الخيط المُفرد . المُبرم : الخيط المفتول . استعار الاول للحال الضعيفة والثاني للقوية . اراد : انكما كاملان مستوفيان لخلال الشرف في حال اللين والشدّة .

٣) عبس وذبيان : القبيلتان المتحاربتان . تفانوا : اشتركوا في الفناء اي أفنوا بعضهم بعضاً . دقّوا بينهم عطر منشم : مثل اصلـه ان امرأة عطّارة اسمها منشم كانت تسكن مكة . فكان العرب ، اذا دخلوا في حرب ، اشتروا منها حنوطاً لموتاهم ، حتى تشاءموا بها وبعطرها وسار المثل المذكور . وفي تفسيره وجوه كثيرة .

٤) من الامر نسلمِ : اي نسلم من الحرب . وفي رواية الزوزني : من القوم . وفي رواية الانباري : من القول .

٥) منها : الضمير للحرب في شرح الشنتمري وشرح النحاس ، وللسلم في شرح الزوزني . العقوق : قطيعة الرحم . المعنى انكما قمتما بالصلح بين العشائر فنلتما خير منزلة ، وبعدتما بعملكما عن قطيعة الرحم والاثم .

٦) عُليا معدّ : رؤساؤها واشرافها . هُديتما : في رواية الشنتمري : وغيرهــا .

تعفّى الكلوم بالمئين ؛ فاصبحت ... ينجّمها من ليس فيها بمجرمِ (١)

ينجّمها قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهَريقوا بينهم ملءَ محجمِ (٢)

واصبح يجري فيهم ، من تلادكم ، ... مغانمُ شتى من إفالٍ مُزنَّمِ (٣)

نصيحته للمتصالحين

ألا أبلغِ الاحلافَ عني رسالةً ... وذبيانَ : « هل أقسمتم كلَّ مقسمِ ؟ (٤)

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ... ليخفى ، ومهما يُكتمِ اللهَ يَعلَمِ ! (٥)

يؤخَّرْ ، فيوضعْ في كتابٍ ، فيدَّخرْ ... ليوم الحساب ؛ او يُعجَّلْ فيُنقَمِ ! » (٦)

يستبح : يجد مباحاً . — اي من يجد كثيراً من المجد مباحاً فيناله بعلوّ همته ومضاء عزمه يصبح عظيماً .

١) تُعفّى : تمحى . الكلوم : الجراح . المئين : ج . مائة والمقصود من الابل . اي تمحى الجراح بدفع الديات . ينجّمها : يدفعهـا نجوماً اي اقساطاً . من ليس بمجرم : اراد الساعيين بالصلح اللذين دفعا الديات ولم يكونا مجرمين .

٢) المحجم : كأس الحجام . القوم الذين دفعوا الغرامة : يعني الممدوحين اللذين لم جرقا ملء كأس من الدم ومع ذلك فقد تحمّلا الديات .

٣) التلاد : المال القديم الموروث . الافال : ج . أفيل : فصيل النـاقة . المزنّم : المعلّم ، والتزنيم : علامة كانت تُجعل على كرام الابل وهي أن تُقشر جلـدة ظاهر الاذن ثم تُفتل — المعنى : لما احكمتا الصلح بين الفريقين ودفعتا الديات اصبح يجري فيهم من مالكما كثير من الفصلان الكريمة الموسومة .

٤) الاحلاف : أسد ، وغطفان ، وطي . المقسم : اي القسم .

٥) المعنى : اي لا تضمروا في صدوركم نيـات الغدر بعد ان اقسمتم الايمـان بالصلح والمحالفة . لان الله عالمٌ بما في الصدور وهو يعاقبكم على اضماركم الشرّ ،

٦) امّا آجلاً بان يحفظ سوء نياتكم هذه حتى يوم الحساب ، واما عاجلاً بأن

وصف الحرب واهوالها ونتائجها

وما الحربُ الّا ما علمتم ، وذقتمُ .
— وما هو عنها بالحديثِ المرَّجمِ ! — (١)

متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمةً ؛
وتضرَ ، اذا ضرَّيتموها ، فتضرمِ ، (٢)

فتعرككُمُ عركَ الرَّحى بثِفالها
وتَلقَحْ كِشافاً ، ثمَّ تُنتَجْ ، فتُتْئمِ ، (٣)

ينتقم منكم . — ومن هذا البيت يستخلص ان الشاعر كان يؤمن بالبعث والثواب والعقاب .

١) ذقتم : اي جرّبتم . المرَّجم : المظنون . — المعنى : ليست الحرب الا ما جرَّبتم من اهوالها . وليس هذا الامر بالحديث المظنون الذي لا تُعلم حقيقته بل هو شيء حسّي عرفتموه وذقتم نتائجه المؤلمة .

٢) ذميمة : غير محمودة يريد : اذا لم تقبلوا الصلح ، وهجتم الحرب ، لم تحمدوا امرها . وتضرَ اذا ضرَّيتموها : اي تتعوَّد اذا عوَّدتموها فتتكرَّر عليكم . تضرم : تلتهب .

٣) ثِفال الرحى : جلدة او خرقة تُجعل تحت الرحى ليقع عليها الطحين . والباء بمعنى مع على رأي الزوزني والشنتمري والانباري . فيكون المعنى : ان الحرب تعرككم عركَ الرحى ومعها ثفالها اي عرك الرحى طاحنةً ، ويكون تقدير الباء تقدير الحال . وعلى رأي غيرهم ان الباء زائدة فيكون المعنى : تعرككم عرك الرحى ثفالَها . الكِشاف : ان تُلقح النعجة في السنة مرّتين . الاتآم : ان تلد الانثى توأمين . — كلّ هذا تمثيل لفظاعة الحرب ونتائجها الوخيمة . قال ان الحرب تلقح في السنة مرّتين وتلد توأمين . فجعل إفناءها ايّاهم بمنزلة طحن الرحى الحبّ ، ثمّ جعل انواع الشر المتولّدة عنها بمنزلة الاولاد الناشئة من الامّهات . وبالغ في الوصف باستتباع الشرّ بشيئين : الاول جعله اياها لاقحة كشافًا ، والثاني إتآمها .

فتُنتجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم
كأحمرِ عادٍ، ثم تُرضعْ، فتَفْطِمِ؛ (١)

فتُغْلِلْ لكم ما لا تُغلُّ لاهلها قُرى بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ. (٢)

رعوا ظِمْأهم، حتى اذا تمَّ، أوردوا غمارًا تسيلُ بالسلاح وبالدمِ؛ (٣)

٣٥ فقضَّوا منايا بينهم، ثم اصدروا الى كلاٍ مستوبلٍ متوخمِ. (٤)

---

١) أشأم: صفة للمصدر اي تلد لكم غلمان شؤم. أحمر عاد: اراد به عاقر الناقة الذي كان شؤمًا على أهله، وهو من ثمود لا من عاد، كما لاحظ الاصمعي. فيكون ان الشاعر غلط فخلط بين القبيلتين. ومثل هذا الخلط كثير في الشعر العربي — يريد ان الحرب تلد لكم من الحوادث المشؤومة اولادًا كل واحد منهم أشأم من عاقر الناقة على قومه. وترضع هؤلاء الاولاد ثم تفطمهم؛ كنى بذلك عن طول مدة الحرب، وكثرة نتاجها المذمومة.

٢) فتُغلل: الضمير للحرب. يعني هذه الحرب تغلّ لكم من الديات ما لا تغلّ قرى العراق، وهي مشهورة بالخصب، من الدراهم والحبوب التي تُكال بالقفيز. يقول لهم، على سبيل التهكّم، ان المضارّ المتولّدة من هذه الحروب تزيد على المنافع الناتجة من تلك القُرى. — ينهي، بهذا البيت، خطاب بني عبس فينهاهم عن الحرب. ثم يتكلم عن بني ذبيان، اهل القاتل فيتعذر عنهم بانهم لم يشتركوا مع حصين بن ضمضم.

٣) في ترتيب الابيات ٣٤–٤٧ اختلاف بين الشرّاح، فاتبعنا ما رأيناه معقولًا مستندين الى معاني الابيات والى شرح الشنتمري، والانباري، والزوزني خصوصًا. رعوا ظِمأهم: الظماء، ما بين الشربتين والضمير للمتحاربين. الغمار. ج. غمر: الماء الكثير. — المعنى: انهم كانوا في صلح مدة معلومة، ثم خاضوا غمار حرب تسيل بالدماء.

٤) اصدروا: رجعوا. المستوبَل: السيء العاقبة. المتوخّم: بمعنى الوخيم: غير المريء. — يتابع المعنى نفسه فيقول: انهم انفذوا منايا بينهم، اي قتلوا بعضهم من بعض، ثم رجعوا يستعدّون للحرب ايضًا وكنا عنها هنا بالكلاء الوبيل الوخم.

الاعتذار من اهل القاتل : ذكر حُصَين بن ضمضم

لعمري ، لنعمَ الحيّ ! جرَّ عليهم
بما لا يؤاتيهم ، حصينُ بنُ ضَمضمِ ! (١)
وكان طوى كشحاً على مستكِنّةٍ فلا هو أبداها ، ولم يتقدَّمِ ، (٢)
وقال : سأقضي حاجتي ، ثم أتقي عدوّي بألفٍ من ورائيَ مُلجَمِ (٣)
فشدَّ ، ولم يُفزِع بيوتاً كثيرةً ، لدى حيث ألقت رحلَها أمُّ قشعمِ (٤)
لدى أسدٍ شاكي السلاح ، مقذَّفٍ ،
له لِبَدٌ ، اظفارُه لم تُقلَّمِ ، (٥)
جريءٍ متى يُظلمْ يعاقِبْ بظلمِهِ
سريعاً ، وان لا يُبدَ بالظلم ، يظلِمِ . (٦)

---

١) جرّ عليهم : جنى عليهم . حصين بن ضمضم : من بني مرّة وهو الذي اختبأ حتى لا يدخل في الصلح المعقود بين قومه ذبيان وبني عبس . فلما اصطلحوا قتل حصين رجلاً من بني عبس بثأر اخيه هرم بن ضمضم (راجع المقدَّمة ص : ي) — المعنى : نعمَ القبيلة التي جنى عليه هذا بما لا يوافقوه عليه من الغدر واضمار الحقد .

٢) الضمير لحصين بن ضمضم — طوى كشحاً على الامر : اخفاه . المستكنّة : اراد بها العزيمة المعقودة . لم يتقدَّم : اي لم يظهرها قبل امكان الفرصة . وفي رواية الشنتمري : « ولم يتجمجمِ » : اي لم يتردّد في الاقدام على الامر .

٣) بألف مُلجَم : اي بألف فرس ملجم . يشكل في ذلك على مساعدة قومه له

٤) شدَّ : حمل . وضمير الفاعل لحصين الذي هجم على الرجل العبسي . لم تفزع بيوت كثيرة : اي لم يُعلم اكثر قومه بفعله ، وهم لو علموا لاغاثوا الرجل العبسي منه ، ولم يوافقوا حصيناً على قتله لوجودهم في حالة الصلح . ام قشعم : المنية .

٥) المقذّف : الغليظ اللحم . او الذي يُقذف به في الوقائع . . والبيت وصف لحصين .

٦) وهذا البيت اتمام وصف حصين . فهو ان ظُلم انتقم لنفسه سريعاً ، وان لم يُظلم ابتدأ هو بالظلم .

لعمرُك ! ما جرَّت عليهم رماحُهم
دمَ ابنِ نَهِيكٍ ، او قتيلِ المثلَّمِ ، (١

ولا شاركت في الموت في دم نوفلٍ ،
ولا وهبٍ منهم ، ولا ابن المخزَّمِ . (٢

فكُلًّا أراهم اصبحوا يعقلونهم عُلالةَ ألفٍ بعد ألفٍ مُصتَّمِ ، (٣

٤٥ تُساق الى قومٍ ، لقومٍ غرامةً ، صحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمخرَمِ (٤

لحيٍّ حِلالٍ يعصمِ الناسَ أمرُهم ، إذا طرقت احدى الليالي بمعظَمِ ، (٥

كرامٍ ، فلا ذو الضِغن يُدرِكُ وَتْرَه ،
ولا الجارم الجاني عليهم بمُسْلَمِ . (٦

---

١ و ٢) جرّت : من الجريرة ' اي جنت عليهم : الضمير لقوم المصلحَين : ابن نهيك والمذكورون بعده في البيتين : من قتلى بني عبس في الحرب . يقول ان الذين اعطو الديات لم يقتلوا القتلى برماحهم ' وانما فعلوا ذلك رغبةً في الصلح

٣) يعقلونهم : يدفعون عقلهم . والعقل : الدية لانها تعقل عن الانتقـام او لان الذي يدفعها كان يأتي بها فيعقلها في فناء اهل القتيل . العُلالـة : الشيء بعد الشيء . المصتَّم التامّ . اي يدفعون ديات القتلى الفًا بعد الف من الابل التامة الخلق

٤) المخرَم : الثنية في الجبـل . — المعنى : ان قوم المصلحين كانوا يسوقون الديات الى قوم هم اهل القتَلة ' ليدفعوها الى قوم هم اهل القتلى ' غرامةً عما لزمهم من الدماء . فلا يشعر هؤلاء الا وقد طلعت عليهم هذه الابل الصحيحة من ثنيّة الجبل ' اي دون ان ينتظروها طويلًا .

٥) الحِلال : ج. حالّ : النازل في المحلّ . وحيّ حِـلال : كثير . المعظم : الامر العظيم . — اراد بالحي قوم المصلحَين . فقال ان تلك الابل المُساقة في الديات هي لهم ' وهم كثيرو العدد يلجأ الناس اليهم اذا رماهم الدهر بالخطب العظيم .

٦) الوَتر : الثأر ' وفي رواية الزوزني : تَبْلَه : الحقد . الجـارم : ذو الجرم ' المذنب . — تتمة وصف قوم المصلَحين . هم عزيز والجانب فمن كان له ثار عندهم لم يدركه منهم ؛ ومن جنى منهم جناية لم يسلموه لاولياء المجني عليه .

الحِكَم

سئمتُ تكاليفَ الحيـاة؛ ومن يعشْ
ثمانين حولًا، لا أبَا لـكَ! يسأمِ! [1]

وأعلمُ ما في اليوم، والأمسِ قبلَه،
ولـكنني عن علم مـا في غـدٍ عَمِ! [2]

رأيت المنايا خَبطَ عَشواءَ من تُصِبْ
تُمِتْهُ، ومن تُخطِئْ يُعمَّرْ فيهرمِ. [3]

ومن لا يصـانعْ في امورٍ كثيرةٍ يُضَرَّسْ بانيابٍ، ويوطأْ بمَنسِمِ. [4]

ومن يجعـلِ المعروفَ من دون عِرضه
يَفِرْهُ؛ ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتمِ. [5]

ومن يكُ ذا فضلٍ، فيبخل بفضله على قومه، يُستغنَ عنه ويُذمَمِ.

---

١) في ترتيب الحكم اضطراب في شرح الانبـاري والنحاس، فاتبعنا فيـه الزوزني خصوصاً. لا أبا لك: كلمة جافية كأنه يلوم بها نفسه. وهو لا يريد بها هنا الجفاء، ولكن التنبيه والاعلام.

٢) العمي: الجاهل.

٣) الخبط: الضرب باليد. العشواء: مؤنث الاعشى، التي لا تبصر بالليل يريد بها الناقة التي تضرب بيدها ليلًا على غير هدًى، كنى بهـا عن الموت الذي يصيب الناس على غير ترتيب.

٤) صانَعَ: الناسَ: جاملَهم وداراهم. يُضرَّس: يعضّ بالضرس. المنسم: للبعير كالسنبك للفرس — اي من لا يدارِ الناس قهروه واذلّوه.

٥) يَفِرْه: من وَفَرَ الشيء: كثّره — المعنى: من جعل احسانـه بين عرضه وكلام الناس، صان عرضه من الذمّ.

ومن يوفِ لا يُذمَمْ ؛ ومن يُهدَ قلبُه
الى مطمئنِّ البرِّ لا يتجمجمِ .[١]
ومن هاب اسباب المنايا يَنَلْنَه ،
وإن يرقَ أسبابَ السماء بسُلَّمِ ![٢]
ومن يجعل المعروف في غير اهله يكن حمدُه ذماً عليه ، ويندمِ .[٣]
ومن يعصِ أطرافَ الزجاج فانه يطيع العوالي رُكّبت كلَّ لهذمِ[٤]
ومن لا يذدْ عن حوضه بسلاحه
يُهدَّم ؛ ومن لا يظلمِ الناس يُظلمِ ![٥]
ومن يغترب يحسبْ عدوًّا صديقه ؛ ومن لا يكرِّمْ نفسه لا يكرَّمِ ![٦]

---

١) يوفي : ويفي بمعنى واحد . اي من يفي بعهده لا يتعرَّض للذم . المطمئنّ . الثابت ، المستقرّ . لا يتجمجم : لا يتردّد — اي من جهده الله الى عمل او حالة يطمئنّ اليها قلبه ، لا يتردّد في المضاء فيها .

٢) اسباب المنايا : الحروب وما شاكل . الاسباب الثانية : بمعنى الحبال .

٣) اي من أحسن الى من لا يستحقّ الاحسان ، نال الذم عوض الحمد والشكر ، فندم على عمله .

٤) الزجاج : ج . زُجّ : الحديد المركّب في اسفل الرمح . العوالي : ج . عالية : طرف الرمح الاعلى . اللهذَم : السنان الطويل — كان من عادة العرب ، اذا التقى الفريقان ، ان يديروا زجاج الرماح . ثم يسعى الساعون بالصلح ، فان نجحوا كان خيرًا ، والّا قلبوا رماحهم واقتتلوا بالاسنّة . فيكون المعنى : من ابى الصلح ، ذلّلته الحرب .

٥) الذود : الكفّ ، الردع ، الدفاع . الحوض : يريد به كلّ ما خصّ الانسان من مال وحريم وغير ذلك .

٦) يحسب عدوًّا صديقه : لانه لم يجرّبه . وورد بعد هذا البيت في بعض الروايات :

٦٠ ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
وان خالها تخفى على الناس، تُعلَمِ (١)

وكائنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادتُه او نقصُه في التكلُّمِ: (٢)

لسانُ الفتى نصفٌ، ونصفٌ فؤادُه؛
فلم يبقَ الّا صورة اللحم والدمِ! (٣)

وان سفاهَ الشيخِ لا حِلمَ بعده، وان الفتى بعد السفاهةِ، يحلُمِ! (٤)

سألنا فاعطيتُم، وعُدنا فعدتُم؛ ومن اكثر التسآل يوماً سيُحرمِ! (٥)

ومن لم يزلْ يسترحل الناس نفسه ولم يعفها يوماً من الذلّ يندمِ!
وذكر الشنتمري البيت بهذا العجز: « ولا يُغنها يوماً من الدهر يُسأمِ» وجعله ختام المعلّقة، وهي في روايته ٥٩ بيتاً. وكذلك في رواية الانباري والنحاس، والثلاثة لم يذكروا الابيات ٦٠-٦٤

١) الخليقة: الصفة حسنةً كانت او سيئة.

٢) كائِن: (وفيها لُغـات) بمعنى كم. اي: كم من صامت يعجبك صمته فتستحسنهُ، وانما تظهر زيادته على غيره او نقصانه عند تكلّمه. — ثمّ يجمع المعنى في البيت التالي.

٣) هذا كقول العرب: « المرء باصغَريه: قلبه ولسانه »!

٤) السَفاه والسفه: ضد الحِلم، الجهل والنزق. يحلمِ: كان عليه ان يقول يحلُمُ. فكسرها جرياً مع القافية.

٥) التسآل: بمعنى السؤال.

القسم الثاني

المديح

مدح هرم بن سنان والحرث بن عوف

هما بطلا الشاعر اللذان مدحهما في المعلقة ، وقد تكلمنا عنهما . بـدأ قصيدته هذه بالغزل، ثم انتقل الى مدح قوم البطلين، ثم الى مدحهما خاصة . قال في المطلع :

٦٥ صحا القلبُ عن سلمى ، وقد كاد لا يسلو
واقفر من سلمى التعانيقُ ، فـالثقلُ ! (١)

. . .

اذا فزعوا ، طـاروا الى مستغيثهم ،
طوال الرماح ، لا ضعـافٌ ولا عُزلُ ، (٢)
بخيلٍ عليهـا جنّةٌ عبقريّةٌ جديرون يوماً ان ينالوا فيستعلوا . (٣)
وإن يُقتلوا ، فيُشتفى بدمائهم ، وكانوا قديماً من مناياهم القتلُ ! (٤)

---

١) التعانيق والثقل : موضعان .

٢) فزعوا : طلبت معونتهم . طوالَ الرماح : كناية عن طولهم لان الرمح الطويل لا يحمله الا الطويل القامة الكامل الخلق . عُزل : ج . أعزل : الذي لا سلاح معه .

٣) جنّة : ج . جنّ ، اي رجال كالجنّ دهاء وشجاعةً . عبقريّة : نسبة الى عبقر . موضع كثير الجنّ على زعم العرب ، وكانوا اذا ارادوا وصف أمر بالكمال والنهايـة نسبوه الى عبقر . ينالوا فيستعلوا : اي يدركوا غايتهم ويعلوا على العدوّ .

٤) فيُشتفى . . . اي هم اشراف كرام ، فاذا قُتلوا رضيَ القاتل بدمهم وشفى نفسه . من مناياهم . . . اي هم اهل حروب لا يموتون على فرشهم .

عليها أسودٌ ضارياتٌ لَبوسُهم ... سوابغُ بيضٌ لا تُخرّقها النبلُ ،[١]
اذا لقحت حربٌ عوانٌ مُضرّةٌ ... ضروسٌ تُهرُّ الناسَ أنيابها عُصلُ ،[٢]
قضاعيةٌ او أختها مضريةٌ ... يُحرّقُ في حافاتها الحطبُ الجزلُ ،[٣]
تجدْهم ، على ما خيَّلت ، هم ازاءَها ؛
وان افسد المالَ الجماعاتُ والأزلُ ،[٤]
يُحشّونها بالمشرفيةِ ، والقنا ،
وفتيانِ صدقٍ لا ضعافٌ ولا نُكلُ ،[٥]
تَهامون نجديّون كيدًا ، ونُجعةً ، ... لكلّ اناسٍ من وقائعهم سَجْلُ .[٦]

---

١) عليها : اي على الخيل . سوابغ : ج . سابغة : الدرع الطويلة .

٢) لقحت : في الاصل : حملت ، اراد اذا اشتدَّت الحرب . العوان : الحرب التي قوتل فيها مرّة بعد مرّة . الضَروس : في الاصل : العَضوض . شبّه الحرب بحيوان يعضّ . تهرّ الناس : تجعلهم يهرونها اي يكرهونها . عُصل : معوّجة ، يتابع التشبيه .

٣) الجَزل : الحطب الغليظ . يقول هي حرب شديدة كالنار التي توقد بالحطب الغليظ .

٤) تجدْهم : جزمها على انها جواب اذا ، وهو جائز . على ما خيَّلت : على ما ظهرت ، اي على كل حال . الأزْل : حبس المواشي عن المرعى . إزاءها : اي تجدهم في هذه الحرب يقومون بها . وتجدهم ايضاً ان افسد المالَ . . . : اي ان اجتمع الناس للحرب فحبسوا مالَهم ، اي مواشيهم ، عن المرعى . فانهم ينحرون ويطعمون .

٥) يحشّونها : يوقدونها ، والضمير للحرب . نُكل : ج . ناكل : الذي يرجع عن خصمه جبناً .

٦) النُجعة : طلب المرعى . تهامون نجديّون . . . اي يأتون تهامة ونجدًا ينزلون فيرعون ابلهم ويكيدونَ العدوّ . السجل : النصيب .

٧٥ هم ضربوا عن فَرْجها بكتيبةٍ
كبيضاء حَرسٍ في طوائفها الرَّجْلُ . (١)

متى يشتجرْ قومٌ تقلْ سرواتهم : «همُ بيننا ! فهم رضاؤهم عدلُ !» (٢)

هم جرَّدوا أحكام كلِّ مُضلّةٍ من العُقم لا يُلفى لامثالها فَصْلُ ، (٣)

بعزمةِ مأمورٍ مطيعٍ ، وآمرٍ مُطاعٍ ، فلا يُلفى لحزمهم مثلُ !

ولستَ بلاقٍ بالحجاز مجاورًا ولا سَفرًا ، الّا له منهم حبلُ (٤)

٨٠ بلادٌ بها عزّوا معدًّا وغيرها ، مشاربها عذبٌ ، وأعلامُها ثَمْلُ (٥)

هم خيرُ حيٍّ من معدٍّ علمتُهم لهم نائلٌ في قومهم ، ولهم فضلُ ! (٦)

فرحت بما خُبِّرتَ عن سيّديكم ، وكانا أمرءَين كل امرهما يعلو ؛ (٧)

---

١) الفَرج : الثغر ، الموضع الذي يُتّقى منه العدوّ . بيضاء حرس : حَرْس جبل ، وبيضاؤه : قمة عالية شبه بها الكتيبة لعظمها . الطوائف : النواحي . الرَّجْل : الرجالة .

٢) متى يشتجر . . . : اي اذا وقع الخلاف بين قوم قال أكابرهم : هم ، اي اهل الممدوحين ، حكام بيننا نرضى بحكمهم .

٣) المُضلة : الحرب تضلّ الناس . العُقم : ج . العقيم : الحرب الشديدة المهلكة . — هم بيّنوا احكام الحروب الصعبة المضلّة وفصّلوا امورها بصحة آرائهم ، وبحزمهم واتفاقهم ، وصحة سياستهم ، كما شرح في البيت التالي .

٤) الحبل : العهد والذمة . اي كل من جاور بالحجاز او سافر اليه فله من هؤلاء عهد وذمّة .

٥) عزّوا معدًّا : اي غلبوها في العزّ . الاعلام : ج . علَم : الجبل . ثَمْل : طيّبة الاقامة . وافرد عذب وثَمْل لانهما مصدران .

٦) لهم نائل : اي لهم احسان في قومهم ، ولهم فضل على غيرهم

٧) اراد بالسيدين هرم بن سنان والحرث بن عوف . وما خُبّر بـه : هو حملها ديات القتلى .

رأى اللهُ بالاحسان ما فعلا بكم ، فابلاهما خيرَ البلاء الذي يبلو . (١)

تداركتما الاحلافَ قد ثُلّ عرشُها ،
وذبيانَ قد زلّت باقدامها النعلُ ، (٢)

٨٥ فاصبحتما منها على خير موطن ،
سبيلكما فيه ، وان احزنوا ، سهلُ . (٣)

اذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ،
ونال كرامَ المال في الجَحرةِ الاكلُ ، (٤)

رأيتُ ذوي الحاجات حولَ بيوتهم قطيناً بها ، حتى اذا نبت البقلُ . (٥)

هنالك ، ان يُستخبَلوا المال يُخبلوا ،
وانْ يُسئلوا يُعطوا ، وان يَيسروا يُغلوا . (٦)

---

١) رأي الله بالاحسان : اي رأى الله ما فعلاه حسناً . فابلاهما . . . : اي صنع لهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده ،وذكر الخير لان الله يبتلي ، اي يختبر ، عباده بالخير والشر .

٢) انتقل الى مخاطبة السيّدين . الاحلاف : اسد وغطفان وطي . زلّت باقدامها . . . : اي وقعوا في ضلال وحيرة .

٣) ان احزنوا : في الاصل : ان ساروا في الحزن وهو ما غلظ من الارض . والمراد هنا : انكما في رخاء لما سعيتما به من الصلح وان كانوا هم قد وقعوا في امر شديد .

٤) الشهباء : اي الشديدة ، كنى بلونها الاشهب عن كثرة الثلج وعدم النبات . الجحرة : الشديدة البرد التي تجحر الناس في بيوتهم . المال : الابل . اراد انهم يأكلونها لانهم لا يجدون اللبن لعدم النبات .

٥) بيوتهم : الضمير لقوم الممدوحين . القطين : الرجل وحشمه ، الساكن في الدار .

٦) هنالك : اي في تلك الازمة . الاستخبال : ان يستعير الرجل من الآخر ابلاً .

وفيهم مقامات حسان وجوههم ، وأندية يَنتابها القولُ والفعلُ . [1]
على مكثريهم رزقُ من يعتريهم ،
وعند المقلّين السماحةُ والبذلُ . [2]
وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهلُ ؛[3]
وان قام فيهم حاملٌ ، قال قاعدٌ :
« رشدتَ ! فلا غرمٌ عليك ولا خذلُ ! »[4]
سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم ؛
فلم يفعلوا ، ولم يُليموا ، ولم يألوا . [5]
فما يكُ من خيرٍ أتوه ، فانما توارثه آباء آبائهم قبلُ ؛[6]
وهل يُنبت الخطيَّ الا وشيجُه !
وتُغرس الّا في منابتها النخلُ ![7]

فيشرب البائها وينتفع باوبارها . ان ييسروا يُغلوا : اي اذا لعبوا بالميسر يأخذون سمان الابل فيقامرون عليها ولا ينحرون الّا الغالية الثمن .

١) المقامات : المجالس ، واراد بها اهلها ، ولذلك قال : حسان وجوههم .

٢) المكثرين : الاغنياء . المقلّين : القليلي المال – يقول ان اغنياءهم يقومون بحاجة من قصدهم . وكذلك الفقراء فانهم يسمحون ويبذلون بمقدار طاقتهم .

٣) اراد انهم اهل حلوم وآراء يستفيد منها الجاهل اذا حضر مجالسهم .

٤) المعنى : ان تحمَّل احدهم حمالة ، لم يُسفّه رأيه ، بل قال له القاعد ، اي الذي لم يحمل الحمالة : لقد اصبت في عملك فلا نخذلك ولا ندعك تتحمل الغرامة وحدك .

٥) ولم يليموا : اي ان المتشبّهين بقوم الممدوحين الذين سعوا جهدهم لكي يدركوهم ، لم يأتوا ما يُلامون عليه ، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء لانها اعلى من ان تُبلغ ، فهم معذورون في التقصير عنها . لم يألوا : اي لم يقصّروا في السعي .

٦) المعنى : ان مجدهم قديم متوارث .

٧) الخطي : الرمح ، نسبةً الى الخط : جزيره بالبحرين . الوشيج : ج . وشيجة :

مدح هرم بن سنان

لمن الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ أقوينَ من حِجَجٍ ومن شهرِ [1]

القنا الملتفّ في منبته . — المعنى : لا تنبت القناة الا القناة ولا تغرس النخل الا بحيث تنبت ، وكذلك لا يولد الكرام الا في اصل كريم . وقد سار البيت سيرَ المثل .

١) القُنّة : اعلى الجبل . الحجر : موضع في اليمامة . أقوينَ : خلونَ ، اقفرنَ . حجج : ج . حجة : السنة . من شهر : يريد من سنين ومن شهور ، فاجتزأ بالواحد عن الجمع لانه اسم جنس يدلّ على اكثر منه .

ورُوي ان البيت الاول وبيتاً آخر قبل « دع ذا . . . » من صنعة حمّاد الراوية اضافها الى زُهير . وقد ذكر الاغاني ذلك في خبرٍ عن المهدي يظهر امانة المفضّل وكذب حمّاد . قال ، بعد ذكر الاسناد عن ابراهيم بن المهدي عن السعيدي وابي اياد المؤدّب وغيرهما :

« انهم كانوا في دار امير المؤمنين المهدي بعيساباذ ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بايام العرب وآدابها واشعارها واغانيها ، اذ خرج بعض اصحاب الحاجب فدعا بالمفضّل الضبي الراوية ، فدخل فمكث مليّاً . ثم خرج الينا ومعه حمّاد والمفضل جميعاً . وقد بان في وجه حمّاد الانكسار والغمّ ، وفي وجه المفضّل السرور والنشاط . ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال : « يا معشر من حضر من أهل العلم ، ان اميرَ المؤمنين يعلمكم أنه وصل حمّاد الشاعر بعشرين الف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضّل بخمسين الفاً لصدقه وصحة روايته . فمن اراد ان يسمع شعراً جيداً محدَثاً فليسمع من حماد . ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّل . » فسألنا عن السبب ، فاخبرنا أن المهدي قال للمفضّل لما دعا به وحده : اني رأيت زهير بن ابي سُلمى افتتح قصيدته بأن قال :

« دعْ ذا وعدِّ القولَ في هرمٍ »

« ولم يتقدّم له قبل ذلك قول . فما الذي امر نفسه بتركه ؟ » فقال له المفضّل : « ما سمعت ، يا اميرَ المؤمنين ، في هذا شيئاً . الا اني توهّمته كان يفكّر في قول

لعب الزمان بها ، وغيّرهـا . بعدي ، سوافي المُورِ والقطرِ . [١]

دعْ ذا ، وعدِّ القولَ في هرمٍ خيرِ البُـداةِ وسيّد الحضَرِ [٢]
تاللهِ ! قد علمت سُراة بني ذبيانَ ، عامَ الحَبْسِ والأَصرِ ، [٣]

يقوله ، او يروّي في ان يقول شعرًا ، فعدل عنه الى مدح هرم ، وقال : « دعْ ذا ! » او كان مفكّرًا في شيءٍ من شأنه ، فتركه وقال : « دعْ ذا » ، اي دعْ ما انت فيه من الفكر ، وعدِّ القول في هرم » فأمسك عنه . ثم دعا بحمّاد ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل . فقال : « ليس هكذا قال زهير ، يا أميرَ المؤمنين ! » قال : « فكيف قال ؟ » فأنشده :

« لمنِ الديارُ بقُنّة الحَجرِ أقوينَ مُذْ حِججٍ ومُذ دَهرِ
(كذا بابدال مُذ بمن)

« قفر بمندفعِ النجائب من صمرى الاف الضال والسدرِ
(كذا باختلاف بعض الالفاظ)

« دَعْ ذا ، وعدِّ القوم في هرمٍ خيرِ الكهولِ وسيّد الحضَرِ »

(قال) فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حمّاد فقال له : « قد بلغ امير المؤمنين عنك خبر لا بدّ من استحلافك عليه » ثم استحلفه بايمان البيعة وكل يمين محرجـة ليصدقنّه عن كل ما يسأله عنه . فحلف له بما توثّق منه قال له : « اصـدقني عن حال هذه الابيات ، ومن اضافها الى زهير ؟ » فاقرَّ له حينئذ انه قائلها ، فأمر له فيه وفي المفضّل بما امر به من شهرة امرها وكشفه . » (الاغاني ٥ : ١٧٢-١٧٣)

١) سوافي : ج . سافية : الريح الشديدة التي تسفي التراب اي تطيره . المُور : التراب .

٢) دعْ ذا : اي اترك ما انت فيه من وصف الدّيار ، وانتقل الى مدح هرم .

٣) الحَبْس : هو ان يحدق العـدوّ بالقوم فيحبسوا اموالهم اي مواشيهم ، ولا يخرجوها الى الرعي خشية ان يُغار عليها . وقد تقدّم في شرح الازل (البيت ٢٢) . الأَصر : الضيق وسوء الحال .

أنْ نِعمَ معتركُ الجياع ، اذا ... خبَّ السفيرُ ، وسابئُ الخمرِ (١)
ولنعمَ حشوُ الـدرع انت ، اذا ... دُعِيَتْ نزالِ ، ولُجَّ في الذعرِ . (٢)
حامي الـذمار على محافظة الـ ... جُلّى ، أمينُ مغيَّبِ الصـدرِ . (٣)
حَدِبٌ على المولى الضريك ، اذا ... نابت عليه نوائب الـدهرِ . (٤)
ومرهَّقُ النيرانِ ، يُحمد في الـ ... لأْواء ، غيرُ ملعَّنِ القـدرِ . (٥)
ويقيكَ ما وُقي الاكارمُ من ... حُوبٍ تُسبّ به ومن غدرِ . (٦)
واذا بَرَزْتَ بـه ، برزتَ الى ... ضافي الخليقةِ ، طيّب الخبرِ ، (٧)

---

١) معترك الجياع : اي مجتمعهم . خبَّ : سار سريعاً من الخبب . السفير : الورق الساقط تسفره الرياح اي تطيره . ومعنى اذا خبَّ السفير : اذا تساقط ورق الشجر ، واتى الشتاء ، فكثر الضيق ، وقلّ المرعى . سابئ الخمر : مشتريها ، مرفوع عطفاً على معترك ، اي ونعم سابئُ الخمر . والمقصود به هرم دلالةً على كرمه .

٢) حشو الدرع : لابس الدرع . دعيت نزالِ : اشتدَّت الحرب حتى دعا كلّ قِرن قرنه الى النزال .

٣) الجُلّى : النائبة الشديدة . او جماعة العشيرة وهو المقصود هنا . على : بمعنى اللام . اي حامي الذمار لمحافظته على عشيرته . أمين مغيّبِ الصدر : اي هو مؤتمن على ما يضمره وما يغيب في صدره من الاسرار .

٤) حَدِب : مشفق ، متعطّف . الضريك : من به ضرّ من فقر وغيره .

٥) مرهَّق النيران : اي تُغشى ناره ويُحاط بها . اللأواء : شدة الزمان .

٦) الحُوب : الاثم . المعنى : انه لا يسبّ ولا يفحش ، ولا يغدر . فهو يقيك مما تقي الكرام نفسها منه ، فلا يأتي باثم .

٧) برزت به : اراد برزت اليه . وحروف الجرّ قد يبدل بعضها من بعض . ضافي الخليقة : واسع الخلق .

متصرّفٍ للمجد ، معترفٍ للنائبات ، يُراح للذكر ، (١)
جَلْدٍ يحثُّ على الجميع ، اذا كره الظَّنونُ جوامعَ الامر . (٢)
فلأنت تَفري ما خلقت ، وبعـ ضُ القوم يخلُق ثم لا يفري ، (٣)
١١٠ ولانت اشجع ، حين تتَّجه الـ أبطالُ ، من ليثٍ أبي أجري ، (٤)
وردٍ ، عُراض الساعدين ، حديـ دِ الناب ، بين ضراغمٍ غثْرٍ ، (٥)
يصطاد أُحدانَ الرجال ، فما تنفكُّ أجريهِ على ذُخْرِ . (٦)
والستر دون الفاحشات ، وما يلقاك دون الخير من الستر . (٧)
أُثني عليك بما علمتُ ، وما سلفتَ في النَجدات والذكْرِ . (٨)

---

١) متصرّف للمجد : اي ينصرف في كل باب من الخير لاكتساب المجد . معترف : صابر . يُراح : يطرب ويرتاح للفعل الحسن يحصل به على الذكر الصالح .

٢) جلد : قوي العزم . يحثّ على الجميع . . . : يدفع عشيرة الى التآلف والاجتماع . الظَنون : الكثير الظنّ ، الذي لا يوثق بما عنده لما عُلم من قلة خيره ، وهو يكره الاجتماعات لما يلزمه عند ذاك من المشاركة والمؤاساة بماله ونفسه .

٣) تفري : تقطع . خلق الجلد : هيّأه وقدره . استعاره للقول : انك اذا تهيّأت لامر مضيتَ فيه وانفذته ، بينا غيرك يقدّره ولا يقدم عليه عجزاً وضعف همة .

٤) أجري : ج . جرو : ولد الاسد . جعل الليث ابا اجري لانه يكون اجرأ واعدى لحاجة اطفاله الى الغذاء .

٥) في هذا البيت والذي يليه ، ترك الشاعر وصف الممدوح وهو المشبّه ، واخذ بوصف الاسد وهو المشبّه به . ورد : تعلو لونه حمرة . العُراض : العريض . الضراغم : ج . ضرغام : من صفات الاسد اراد بها اولاده . الغُثر : الغُبر .

٦) أحدان : ج . واحد . اي يصطاد الرجال واحداً بعد واحد . الذُخر : ما يحفظ لما بعد اليوم .

٧) المعنى : يكون الستر بينه وبين الفاحشات ، وهو ستر من الحياء وتقى الله . اما بينه وبين الخير فلا ستر يحجبه عنه .

٨) سلفت : قدّمت . النَجَدات : ج . نجدة : الشدّة والبأس . الذكر : ما يُذكر به من الفضل . روى هذه القصيدة الاصمعي . وقد روى غيره ختاماً لها البيت التالي :

مدح هَرِم

يبدأ الشاعر قصيدته هذه بالوقوف على الاطلال (٣ ابيات) ويصف الناقة في ٢٥ بيتًا وصفًا دقيقًا يقرب من وصف طرفة لناقته في المعلقة . ثم ينتهي الى ممدوحه هرم بن سنان ، فيقول :

الى هرمٍ تهجيرُها ووسيجها   تروح من الليلِ التّمامِ ، وتغتدي [1]
الى هرمٍ سارت ثلاثاً من اللِوى ،   فنعم مسيرُ الواثق المتعمِّدِ ، [2]
سواءٌ عليه أيَّ حين أتيتَه :   أساعةَ نحسٍ تُتّقى ، ام بأسعدِ [3]
أليس بضرّابِ الكُماةِ بسيفه !   وفكّاكِ أغلالِ الاسيرِ المقيّدِ !
كليثٍ ابي شبلين يحمي عرينه ،   اذا هو لاقى نجدةً ، لم يعرِّدِ . [4]
ومِدرَهُ حربٍ حميُها يُتّقى به ،   شديدُ الرِّجامِ باللسان وباليدِ . [5]
وثقلٌ على الاعداء لا يضعونه ،   وحمّال أثقالٍ ، ومأوى المطرَّدِ [6]
أليس بفيّاضٍ يداه غمامةٌ ،   ثمال اليتامى في السنين ، محمَّدِ ! [7]

لو كنت من شيء سوى بشرٍ ،   كنت المنوَّر ليلةَ البدرِ !

١) التهجير : السير في الهاجرة ، والضمير للناقة . الوسيج : ضرب من السير السريع . التمام : اطول ما يكون من الليل .

٢) اللوى : في الاصل : منقطع الرمل ، اراد به موضعاً كان قوم زهير ينزلون فيه . الواثق : الذي يثق بسيره اليه . المتعمّد القاصد .

٣) بأسعد : اي في ساعة سعد .   ٤) لم يعرّد : لم يفرّ .

٥) المِدرَه : الرجل الذي يدفع عن قومه . اي هو فارس القوم . الرجام : المراماة بالخصومة والقتال . اي هو يدافع عن قومه بلسانه ويده .

٦) ثقل على الاعداء : اي ثقيل الوطأة عليهم لا يتخلصون من قوته وبطشه . حمّال اثقال : اي يتحمل متاعب العشيرة . المطرّد : المطرود من قبيلته .

٧) يداه غمامة : شبههما بالغمامة لكثرة عطائه . ثمال اليتامى : اي يطعمهم ويقوم عليهم . السنون : اي سنو القحط . محمد : الذي يُحمد كثيرًا .

اذا ابتدرت قيسُ بن عَيلانَ غايةً　　من المجد، من يسبقْ اليها يُسوَّدِ،(١)
سبقتَ اليها كلَّ طَلقٍ مبرّزٍ　　سبوقٍ الى الغايات، غيرَ مجلّدِ؛(٢)
١٢٥ كفضلِ جواد الخيـــل يسبقُ عفوُه الـ
ـسراعَ؛ وان يجهدْنَ يَجهَدْ ويَبعدِ!(٣)
تقيٌّ، نقيٌّ، لم يكثّرْ غنيمةً　　بنَهكة ذى قُربى، ولا بحَقَلَّدِ،(٤)
سوى رُبعٍ، لم يأتِ فيه مخانةً،　　ولا رَهَقاً من عائذٍ متهوّدِ،(٥)
يطيبُ له، أو افتراصٍ بسيفه　　على دهشٍ في عارضٍ متوقّدِ.(٦)

---

١) ابتدرت: تسابقت. قيس بن عيلان: القبيلة التي منها عشيرة الممدوح. — اي اذا تسابق هؤلاء القوم الى غاية شريفة من سبق اليها يكون السيد،

٢) سبقتهم انت الى ذلك. الطَلْق: البيّن الفضل. المبرّز: الذي يسبق الناس الى الكرم والخير. غير مجلّد: اصل الاستعمال للخيـــل اي يسبق الى الغاية من غير ان يُجلد.

٣) اي فضلك على اهل الخير كفضل الفرس الجواد الذي يسبق سراعَ الخيل وهو سائر عفوًا اي دون ان يجهد نفسه. اما اذا جهدت الخيل لبعد الغاية، فيجهد هو نفسه ويبعد عنها اي يسبقها.

٤) النهكة: النقص والاضرار. الحقلّد: البخيل السيئ الخُلق. — المعنى: بعـــد ان يصفه بالتقى والنقاء يقول انه لم يزد غنيمته بان يلحق ضررًا بذوي قرباه، ولا هو بالبخيل السيئ الخُلق.

٥) الرَهَق: الظلم، العائذ اللاجئ. المتهوّد: المطمئن — اي لم يكثّر ماله بظلم غيره، وانما يأخـــذ الربع من الغنيمة دون ان يخون فيه او يظلم من التجأ اليـــه واطمأن.

٦) يطيب له: في شرح الشنتمري، انه اراد سوى ربعٍ يطيب له. وذكر بعده افتراصٍ معطوفًا على ربعٍ. وذكر الاب شيخو: يطيب له أوبُ افتراص بسيفه. وهي تقيم الوزن (المجاني ٦: ٢٥٠). الافتراص: الضرب والقطع. الدهش: العجلة.

فلو كان حمدٌ يخلد الناسَ ، لم تمتْ ؛ ولكنّ حمد الناس ليس بمخلدِ ! [1]
ولكنّ منه باقياتٍ وراثةً ، فاورثْ بنيك بعضها ، وتزوّدِ ،
تزوّدْ الى يوم الممات ، فانه ، وان كرهته النفسُ ، آخر موعدِ !

مدح حصن بن حذيفة بن بدر

يبدأ هذه القصيدة بانه شاخ وترك اللهو (الابيات ١—٥) ثم يذكر الاطلال (٥—٦) ثم يصف فرسه وسرعته في الصيد مع حذق غلامه ومعرفته بالطعن وصفاً جميلاً تاماً دقيقاً (٩—٢٠) الى ان يتخلص الى ذكر ممدوحه.

صحا القلب عن سلمى ، وأقصر باطلُهْ ،
وعُرّيَ أفراسُ الصِبا ورواحلُهْ [2]
وأقصرتُ عمّا تعلمين ، وسُدّدت عليّ ، سوى قصدِ السبيل ، معادِلُهْ [3]
وقال العذارى : « انما انت عمنا ! » وكان الشبابُ كالخليطِ نُزايلُهْ [4]

العارض : اراد به الجيش شبّهه بالعارض من السحاب . وجعله متوقّداً لكثرة سلاح الحديد ولمعانه .

١) حمد : اراد به الفعل الصالح الذي يحمد الناس عليه .

٢) أقصر : كفّ . الباطل : اي اللهو . وعرّي . . . : اي عُرّيت افراس ورواحل كان يركبها في الصبا وطلب اللهو ، وهي كناية عن ان ترك الملاهي .

٣) اقصرت عما تعلمين : اي كففت عمّا عهدتِني عليه من اللهو . المعادل : ج . معدل : كل ما عُدل فيه عن القصد . اي ان تلك الطرق التي كان يعدل بها عن قصد السبيل سُدت عليه . سوى : هنا بمعنى عن وهي متعلّقة بالمعادل .

٤) انما انت عمنا : اشارة الى انه كبر بالعمر . الخليط : الصاحب . نزايله : نفارقه .

١٣٥ فاصبحتُ مـا يعرفن الَّا خليقتي ،
وإلَّا سوادَ الرأسَ ، والشيبُ شاملُـه . (١)

لمن طلـلٌ كالوَحي ، عافٍ منـازلُهْ
عفا الرسُّ منه ، فـالرسيس ، فعاقِلُهْ ، (٢)

فرقدٌ ، فصاراتٌ ، فـاكنافُ مَنعِجٍ ،
فشرقيّ سلمى : حوْضُـه فاجاولُهْ (٣)

فوادي البديّ ، فـالطويُّ ، فثادِقٌ ،
فوادي القنـانِ : جزْعه فافاكِـلُهْ . (٤)

وغيثٍ من الوسميّ حُوٍّ تلاعُهُ أجابتْ روابيه النجا ، وهواطلُهْ ، (٥)

---

١) ما يعرفن الا خليقتي . . . : اي ذهب شبابي ، وتغيّر منظري ، فلا يعرفن مني الا خُلقي وسواد رأسي ، وقد شمله الشيب .
٢) الوَحي : الكتاب شبّه به آثار الدار ، وهو تشبيه جارٍ عند العرب (راجع معلقة لبيد : ٦ و ٨) الرسّ والرسيس : ماآن لبني أسد . عاقل : ارض ، وقيل : جبل .
٣) رقد : اسم وادٍ . صارات : جبال واحدها صارة . مَنعِج : موضع وأكنافه : نواحيه . سلمى : جبل . اجاوله : جوانب منه يجال فيها .
٤) البديّ ، الطويّ ، ثادق : مواضع . القنان : جبل لبني أسد . جزع الوادي : منعطفه . افاكله : نواحيه .
٥) الوسميّ : اول المطر . واراد « بغيث من الوسمي » : نبتًا من غيث الوسمي . الحوّ : الشديد الخضرة التي تضرب الى السواد لريّها . التلاع : مجـاري الماء من اعلى الارض الى بطن الوادي . وصف التلاع بالحُوّة وهي يعني نباتها . النجاء : ج . نجوة : المرتفع من الارض . والاصل فيها النجاء ، قصرها ضرورةً . — المعنى : اجابت روابيه النجاء بالنبت ، واجابت هواطله بالمطر .

١٤٠ هبطتِ بممسودِ النواشرِ ، سابحٍ ،
مُمَرٍّ ، أسيلِ الخدّ ، نهدٍ مراكلُهْ ، [١]
تميمٍ فَلَوناه ، فأُكمل صنعُه ، فتمّ وعزّته يداه وكاهلُهْ [٢]
أمينٍ شظاه لم يخرّق صِفاقُه بمنقبةٍ ، ولم تُقَطَّع أباجِلُهْ . [٣]
اذا ما غدونا نبتغي الصيد مرّةً ، متى نَرَه ، فاننا لا نُخاتلُهْ . [٤]
فبينا نبغّي الصيدَ ، جاء غلامُنا
يدبّ ، ويُخفي شخصه ، ويُضائِلُهْ ، [٥]
١٤٥ فقال : شياهٌ راتعاتٌ بقفرةٍ بمستأسَدِ القُريانِ حُوٍّ مسائِلُهْ [٦]

١) يبدأ بهذا البيت وصف الفرس . الممسود : الشديد . النواشر : ج . ناشرة : عصب الذراع . المُمَرّ : الشديد الفتل ، الموثق الخلق . أسيل الخدّ : ناعمه . النهد : الضخم . المراكل : ج . مركل : حيث يركله الفارس بعقبه .

٢) تميم : تام الخلق . فَلَوْناه : فطمناه وهو فلو . عزته يداه وكاهله : اي غلبت يداه وكاهله ، وهو مجتمع الكتفين في اصل العنق ، سائرَ اعضائه .

٣) أمين : قوي . الشظى : عظيم لاصق بالذراع . ويُحتمل ان يكون الشظى هنا مصدرًا ، ويكون امين بمعنى مأمون ، فيصبح المعنى : قد أمن ان يشظى . الصِفاق : الجلدة السفلى من البطن تحت ظاهر الجلد . لم يخرّق صِفاقه : اي لم يكن به داء فيخرّق . المنقبة : حديدة البيطار . الاباجل : ج . أبجل : عرق في اليد .

٤) لا نخاتل الصيد : اي لا نسارقه ولا نكيده ، لاننا واثقون بجودة فرسنا وسرعته ، ولهذا فنحن نجاهر الصيد .

٥) نبغّي : تكثير من بغى . يدبّ : يمشي راجلًا . يضائل شخصه : يصغره . يخفيه : لئلا يشعر به .

٦) الشياه : الحمر الوحشية . المستأسد : ما طال من النبت وقوي . القُريان : ج . قريّ : مجرى الماء على الرياض . المسائل : حيث يسيل الماء .

ثلاثٌ كاقواسِ السَّراءِ ، ومِسحلٌ
قد اخضرَّ ، من لسّ الغميرِ ، جحافِلُه (١)

وقد خَرَّم الطُّرَّادُ عنه جحاشَه ، فلم تبقَ الّا نفسُه وحلائِلُه (٢)

فقال اميري : « ما ترى رأيَ ما نرى ؟
أنختله عن نفسه ، ام نصاوِلُه ؟ » (٣)

فبتنا عُراةً عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه ، ونزاوِلُه ، (٤)

ونضربه حتى اطمأنّ قذالُه ، ولم يطمئنَّ قلبه وخصائِلُه (٥)

ومُلجمنا ما ان ينالُ قذالَه ولا قدماه الارضَ ، الّا انامِلُه (٦)

فلأياً بلأيٍ ، ما حملنا وليدَنا على ظهر محبوكٍ ظِماء مفاصِلُه (٧)

---

١) ثلاث : اي ثلاث أُتن . السراء : شجر تُتخذ منه القسيّ . شبهن بها لضمورهنّ ، لانهنّ اجتزأن برعي الرَّطب عن شرب الماء . مِسحل : اراد به حمار الوحش . اللسّ : الاخذ بمقدّم الفم . الغمير : نبت اخضر غمره نبت آخر . الجحافل : ج . جحفلة : شفة الفرس والحمار .

٢) الطرّاد : الصيادون . خرّموا جحاشه : اخذوها واحدًا واحدًا . الحلائل : ج . حليلة : امرأة الرجل ، استعارها للأُتن .

٣) الأَمير : الذي يؤامره ويستشيره . نختله : نخادعه . نصاوله : نطارده .

٤) عُراة : منهم من يزعم انه اراد بها انهم تجردوا في أُزرهم . وقيل : هي من العُرَواء : الرعدة ، اي اصابتهم رعدة لحرصهم على الصيد . وقيل باتوا في ارض عارية من الشجر . يزاولنا . . . : اي الفرس نشيط يُعالج مدافعتنا ونعالج الجامه وركوبه .

٥) الخصائل : ج . خصيلة : كل لحمة في عَصَبة . ٦) وصف علوّ الفرس .

٧) الوليد : الغلام . المحبوك : الشديد الخلق ، وصف الفرس . ظماء مفاصله : ذليلة اللحم .

وقلت له : « سدّدْ ا وأبصرْ طريقــه »
وما هو فيه عن وصــاتي شاغِلُهْ . [1]

وقلت : « تعلّم ا إنّ للصيد غرّةً ؛ وإلّا تضيّعْهــا ، فانك قاتِلُهْ » [2]

فتبّعَ آثار الشيــاهِ وليــدُنا
كشؤبوب غيثٍ يحفشُ الأُكَمَ وابلُــهْ [3]

نظرتُ اليــهِ نظرةً ، فرأيتُه على كلّ حالٍ مرّةً ، هو حامِلُهْ .

يُثرنَ الحصى في وجهه ، وهو لاحقٌ سراعٌ تواليه ، صِيابٌ اوائِلُهْ [4]

فردّ علينا العَيرَ من دون إلفه ، على رغمه ، يدمى نساه وفائِلُهْ [5]

فرحنا به ، ينضو الجيادَ عشيّةً ، مخضّبةً أرساغــه وعواملُــهْ [6]

بذي مَيعــةٍ ، لا موضعُ الرمحِ مُسلمٌ
لبطءٍ ، ولا مــا خلف ذلكَ خاذِلُــهْ [7]

---

١) سدّد : قوّم صدر الفرس . وما هو فيه . . . : اي يشغله مــا هو فيه من علاج الفرس عن سماع وصيتي .

٢) الغرّة : الغفلة . اي انك تقتل الصيد ، ان لم تضيّع وصيتي

٣) الأكم : ج . أكمة . يحفشها السيل : يكثر عليها حتى يستخرج ما فيها .

٤) يُثرن : الضمير للشياه . تواليه : رجلاه وعجزه . اوائله : يداه وصدره .

٥) العَير : حمار الوحش . اي قطعه الغلام من إلفه : إتانه . النسا والفائل : عرقان خصّها بالذكر ليدلّ على حذق الغلام بالطعن وإصابة المقتل .

٦) ينضو الجيادَ : ينسلخ منها ويتقــدمها ، اي ان طراده للوحش لم يكسر من حدّته ونشاطه . العوامل : القوائم .

٧) الميعة : الدفعة من السير . لا موضع . . . : اي ان مقدّمه لا يسلم مؤخره اي لا يخذله ، بل يؤيده وكذلك مؤخره يؤيد المقدّم .

وأبيضَ فيّاضٍ يداه غمامةٌ   على معتفيه، ما تُغبُّ فواضِلُه، (١)

بكرتُ عليه غُدوةً فرأيتُه   قُعودًا لديه بالصريم عواذِلُه (٢)

يفدّينه طورًا، وطورًا يَلُمنه،   وأعيا، فما يدرين مَخاتِلُه (٣)

فأقصرنَ منه عن كريمٍ مُرَزَّإٍ   عزومٍ على الأمر الذي هو فاعِلُه (٤)

اخي ثقةٍ لا تُتلفُ الخمرُ مالَه،

ولكنه قد يهلك المالَ نائلُه!

تراه، اذا ما جئته، متهللًا   كأنك تُعطيه الذي انت سائِلُه!

وذي نسبٍ ناءٍ بعيدٍ، وصلته   بمالٍ، وما يدري بأنك واصِلُه، (٥)

وذي نعمةٍ تَمّمتها، وشكرتَها؛   وخصمٍ يكادُ يغلِبُ الحقَّ باطلُه. (٦)

رفعتَ بمعروفٍ من القول صائبٍ،   اذا ما اضلَّ الناطقين مفاصِلُه. (٧)

---

١) ينتقل الى ذكر ممدوحه. ما تُغبّ: اي لا تنقطع.

٢) الصريم: ج. صريمة: رملة منقطعة عن معظم الرمل. العواذل: اللاتي يلمنه على انفاق ماله.

٣) واعيا . . . : اي صعب عليهنّ ان يقنعنه فهنّ لا يدرين اي طريق يسلكن الى ذلك.

٤) المُرزَّأ: المصاب بماله كثيرًا.

٥) وما يدري . . . : اي ان الممدوح وصل قومًا، فوصلوا غيرهم من صِلَته. فكان هو سبب تلك العطية، وهم لا يعرفون ذلك.

٦) الشطر الاول: يعني انه يتمم النعمة التي يعطيها، ويشكر النعمة التي ينالها. الشطر الثاني متعلق بالبيت التالي.

٧) اي انت ترد حجة الخصم، اذا لم يهتدِ الناطقون الى مفاصل الكلام.

وذي خطلٍ في القول يحسب أنه
مصيبٌ، فما يُلمِمْ به فهو قائلُهْ، (١)

عبأْتَ له حِلماً، وأكرمتَ غيرَهُ، واعرضتَ عنه، وهو بادٍ مقاتِلُهْ (٢)

حُذَيفةُ ينميه، وبدرٌ كلاهما الى باذخٍ يعلو على مَن يُطاوِلُهْ (٣)

ومن مثل حصنٍ في الحروب؟ ومثلُه
لإنكار ضيمٍ، او لأمرٍ يحاوِلُه؟

ابى الضيمَ، والنعمانُ يحرِق نابه عليه، فافضى والسيوف معاقِلُهْ (٤)

عزيزٌ، اذا حلّ الحليفان حولَهُ،
بذي لَجَبٍ لَجّاتُه وصواهِلُهْ (٥)

يُهدّ له ما دون رملةِ عالجٍ، ومَن أهلُه بالغور زالت زلازِلُهْ (٦)

---

١) الخطل: كثرة الكلام وخطاؤه.
٢) عبأت له حلماً: اي جمعت له الحِلم وهيّأته. اكرمت غيرهُ: يُحتمل ان يكون اراد بغيره نفسه: اي اكرمت نفسك باعراضك عنه.
٣) حذيفة: ابو الممدوح. بدر: جدّه.
٤) يحرق نابه: اي يصرف حنقاً. افضى: صار في فضاء الارض. معاقله: اي اعتقل بالسيوف فاحتمى بها لا في الحصون.
٥) الحليفان: اسد وغطفان. بذي لجب: بجيش ذي اصوات وجلبة. اللجات: اختلاط الأصوات. الصواهل: الخيل.
٦) يُهدّ له: اي يكسّر ويُزلزل من اجل هذا الجيش لكثرته ما دون رملة عالج. الغَور: ما سفل من الارض. اي هذا الجيش، اذا نزل يزلزل الارض، ويرعب اهل الاماكن المطمئنة. وهذا البيت ختام القصيدة في رواية الاصمعي

مدح هرم واهله

وقال يمدح هرماً واباه واخوته ، وهو مما غُني فيه :

إن الخليط أجدَّ البَيْن ، فانفرقا ؛ وعُلّق القلب من أسماء ما عَلِقا [١]
وفارقتك برهنٍ لا فكاكَ لـه يومَ الوَداع ، فامسى الرهنُ قد غلِقا [٢]

. . .

مـا زلت أرمقهم ، حتى اذا هبطت
ايدي الركاب بهم من راكسٍ فَلَقا ، [٣]
دانيةً لشَرَوْرَى ، اوقفـا أدمٍ ،
يسعى الحُـداةُ على آثارهم حِزَقـا ، [٤]
كانَ عينيَّ في غَرْبَي مُقتّلـةٍ من النواضح تسقي جنّةً سُحُقا ، [٥]

---

١) الخليط : المشير ، المخالط في الدار . اجدَّ البَين : اجتهد في الرحيل . انفرق : انفعل من الفرقة . ما علِق : اي علّق قلبه من حبّ اسماء ما احبّ .

٢) برهن : اراد به قلبه اي ذهبت به . غلِق : لم يكن له فكاك ابداً فاخذه المرتهن .

٣) ارمقهم : ضمير المفعول للمسافرين اهل المحبوبة . الركاب : الابل . راكس : اسم وادٍ . الفَلق : المطمئنّ من الارض .

٤) شرورى وأدم : جبلان وقيل موضعان . حِزَقا : ج . حِزقة : جماعة .

٥) غَرْبَي : مثنى غَرْب : الدلو . المقتّلة : صفة للناقة المحذوفة وهي التي ذُلّلت بكثرة العمل ، خصّها لانها ماهرة تخرج الدلو ملأى ، ولا تضطرب فتهرقها . الجنّة : البستان ، اراد بها هنا النخل ، وخصّه لانه احوج الى كثرة الماء من الخضر . سحقا : ج . سَحُوق : النخلة العالية .

تمطو الرشاء ، فتجري في ثِنايتها   من المَحالة ثقباً رائداً قلِقا [1]
لها متاعٌ واعوانٌ غدونَ به   قِتْبٌ وغَرْبٌ اذا ما أُفرِغَ انسحقا ؛ [2]
وخلفها سائقٌ يحدو ؛ اذا خشيت   منه اللحاقَ ، تمدُّ الصلبَ والعُنقا ؛ [3]
وقابلٌ يتغنى كلّما قدرت   على العَراقِ يداه ، قائماً ، دَفقا ، [4]
يُحيل في جدول تحبو ضفادعُه   حَبْوَ الجواري ، ترى في مائه نُطُقا [5]
يخرجن من شَرَبات ماؤها طَحِلٌ ،   على الجذوع ، يخفنَ الغمَّ والغرقا . [6]
بل اذكرنْ خيرَ قيس كلّها حسباً ،   وخيرَها نائلاً ، وخيرَها خُلُقا ، [7]

---

١) تمطو الرشاء : تمدّ الحبل . الثِناية : الحبل الذي اوثق احد طرفيه بقتب الناقة والاخرى بالدلو . المحالة : البَكَرة . رائداً : الذي يذهب ويجيء . وهذه الطريقة في الاستسقاء لا تزال مستعملة في بعض قرى سورية الشمالية .

٢) لها : الضمير للناقة التي يُستقى بواسطتها . القِتب والغَرب : تبين لهذا المتاع المذكور . انسحق : مضى وبعُد سيلانه . غدون به : الضمير لجامات الاعوان .

٣) الصُلب : الظهر .

٤) قابل : اي رجل يستقبل الدلو المملوءة ، فيأخذها ، وهو يتغنى ، ويصبّ ما فيها ، عند ما تصل يداه الى العراقي : ج . عَرقوَة : احدى الخشبتين اللتين تجعلان في فم الدلو يشدّ فيها الحبل . قائماً : حال من الضمير في يتغنى .

٥) يُحيل : يصبّ . حبوَ الجواري : اي تثب تلك الضفادع وثب الجواري . النُطُق : الدوائر التي تعلو الماء شبّهها بجمع النِطاق . وذلك دليل على كثرة الماء وهبوب الريح عليه .

٦) يخرجن : الضمير للضفادع . الشَرَبات : ج . شَرَبة : حوض صغير كهيئة الملف يحفر حول اصل النخلة ويصبّ فيه الماء لريّها . طحِل : اخضر لكثرة ما يمكث فيه الماء . وجعلها ذات ضفادع اشارة الى ان ماءها لا ينقطع .

٧) بل : للانتقال : يقول : اترك وصف ما تقدّم وانتقل الى ذكر الممدوح .

القائدَ الخيل منكوباً دوابرها ،
قد أحكمت حكماتِ القِدِّ والأَبقا ؛ (١)

١٩٠ غزت سِماناً ، فآبت ضُمَّرًا خُدُجاً ،
من بعد ما جنبوها بُدَّنًا عُقُقا (٢)

حتى يؤوب بهـا عُوجـاً معطَّلةً
تشكو الدوابرَ ، والانساءَ ، والصُفُقا (٣)

يطلب شأوَ أمرأينِ قدَّمـا حسناً ، نالا الملوكَ ، وبذَّا هذه السُوَقا (٤)
هو الجواد ، فان يلحق بشأوهما ، على تكاليفه ، فمثله لحقـا ؛ (٥)
او يسبقاه ، على ما كان من مهلٍ ، فمثلُ ما قدّما من صالحٍ سبقا . (٦)

---

١) الدوابر : اواخر الحوافر . اي يقود الخيل للغزو حتى تؤثر الارض في اواخر حوافرها . أُحكمت : جعلت لها حَكَمات : ج . حَكَمة : القطعة من الرسن التي على الانف . القِدّ : الجلد المقطوع . الأَبَق : القِنّب .

٢) الخُدُج : التي تُلقي اولادها لغير تمام من شدة التعب . جنبوها : قادوها . بدَّنًا : ج . بادن : ضخم . عقق : ج . عقوق : التي استبان حملها .

٣) حتى يؤوب : اي يغزو بها حتى يرجع . عوج : ج . اعوج وعوجـاء : التي هزلت حتى اعوجّت . معطّلة : بلا ارسان وهي لا تحتاج اليها لشدَّة الاعياء . الانساء : ج . نسا : عرق في الفخذ . الصُفُق : ج . صِفاق : جلد يلي البطن دون الجلد الاعلى .

٤) الشأو : الغاية . المرأين : اراد بها ابا الممدوح وجدّه . بذّا : تغلّبا . السوق : ج . السوقة : اوساط الناس .

٥) على تكاليفه : اي على ما في ذلك من الجهد والمشقّة .

٦) المهَل : التقدّم .

اغرُّ ، ابيض ، فيّاضٌ ، يُفكِّك عن
ايدي العُناة وعن اعناقها الرِّبَقا ؛ (1)

وذاك احزمهم رأياً ، اذا نبأٌ — من الحوادث غادى الناسَ او طرقا (2)

فضلَ الجياد على الخيل البِطاء ، فلا — يعطي بذلك ممنوناً ولا نَزِقا . (3)

قد جعل المبتغون الخيرَ من هرمٍ ، — والسائلون الى ابوابه طُرُقا ؛

ان تلقَ يوماً ، على علّاته ، هرماً — تلقَ السماحةَ منه والندى خُلُقا . (4)

وليس مانعَ ذي قربى وذي رحِمٍ ،
يوماً ، ولا معـدِماً من خابطٍ ورقا . (5)

ليث بعثّرَ يصطـاد الرجالَ ، اذا
ما كذّبَ الليث عن اقرانه ، صـدقا . (6)

---

١) العُناة : ج. العاني : الاسير ، الذليل . الربق : ج. الربقة : حبل طويل فيه حلق ، اراد بها الاغلال .

٢) غادى : اتى في الغداة . طرق : اتى في الليل .

٣) فضلَ الجياد . . . : اي فَضَلَ الممدوحُ الناس فضلَ الخيل الجياد على الخيل البطيئة الجري . الممنون : المقطوع . النزِق : الذي يبطئ بعد الجري . — المعنى : هو في الناس بمنزلة الجواد بين الخيل الذي يعطيك ما عنده من الجري دون ان يقطع جريَه او يبطئ فيه .

٤) على علّاته : اي على قلة ماله .

٥) ولا معدماً من خابطٍ : من زائدة ، والتقدير : ولا معدماً خابطاً . المعدِم : المانع والخابط : طالب المعروف . الورَق : هنا المعروف ، وهذا مثل اصله ان الرجل يضرب الشجر ليوقع ورقه فيعلفه ماشيته . المعنى : ان هرماً يصل القريب والبعيد .

٦) عثّر : اسم موضع . كذب الليث : اي لم يصدق الحملة .

يطعنهم ما ارتموا ، حتى اذا اطعنوا ضارب ، حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا (١)

هـذا ، وليس كمن يعيا بخطّته وسط النديّ اذا ما ناطقٌ نطقا . (٢)

لو نال حيٌّ من الدنيا بمنزلةٍ وسطَ السماء ، لنالت كفُّه الأُفقا !

---

١) المعنى : اذا ترامى الفريقان بالنبال ، دخل الممـدوح تحت الرمي فجعل يطعنهم . فاذا تطاعنوا ، ضرب بالسيف . فاذا تضاربوا ، اعتنق قرنه والتزمه . يريد انه يزيد عليهم في كل حال . وكان كثير من النقّاد يعجبون بهذا البيت ذاكرين انه جمع كل انواع القتال .

٢) النديّ : مجلس القوم . بعد ان وصفه بالكرم والشجاعة ، وصفه بالبلاغة في المحافل والمجتمعات .

القسم الثالث

الهجاء

هجو آل حصن

كان رجل من بني عبدالله بن غطفان أتى قوماً من آل حصن، وهم من بني عُليم من كلب، فأكرموه واحسنوا جواره. وكان مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فابى الا المقامرة. فقُمر مرةً فردّوا عليه، ثم قُمر اخرى فردّوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردّوا عليه. فترحّل عنهم الى قومه وزعم انهم اغاروا عليه. وكان زهير نازلاً في غطفان، فقال يهجو آل حصن. ثم لما علم الحقيقة كان يقول: «ما خرجت في ليلة ظلماء الا خفت ان يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم.» وهذا ما قال بعد ان اطال في وصف الطلول، والمحبوبة، والناقة (٣٠ بيتاً):

٢٠٥ وقد اغدو على ثُبةٍ كرامٍ، نشاوى، واجدين لما نشاءُ، (١)
لهم راحٌ، وراووقٌ، ومسكٌ تُعلُّ به جلودهم، وماءُ، (٢)
يجرّون البرودَ، وقد تمشّت حُميّا الكأس، فيهم، والغِناءُ، (٣)
تمشّي بين قتلى قد أُصيبت نفوسُهم، ولم تُهرقْ دماءُ. (٤)

---

١) الثُبة: الجماعة من الناس. نشاوى: ج. نشوان: سكران. واجدين لما نشاء: اي قادرين على ما نشاء من الطعام والشراب والطيب والغناء.

٢) الراح: الخمر. الراووق: المصفى: خرقة تُصفّى بها الخمر. تعلّ به جلودهم: تُطيّب بالمسك مرّة بعد مرّة.

٣) البرود: ج. بُرد: الثوب الموشّى. حميّا الخمر: سورتها

٤) المعنى: ان سورة الخمر تتمشى بين سكارى قد صرعت نفوسهم اي عقولهم، فكأنهم قتلى ولكن دون ان تُهرق دماؤهم.

وما ادري — وسوف إخال ادري —
أقومٌ آل حصنٍ ام نساءُ ؟ [١]

٢١. فان قالوا: «النساء مُخبّاتٍ» فحُقّ لكل محصنةٍ هِداءُ ! [٢]
واما ان يقول بنو مصادٍ : « اليكم ! اننا قومٌ براءُ ! » [٣]
واما ان يقولوا : « قد وفينا بذمّتنا ، فعادتنا الوفاءُ ! » [٤]
وإما ان يقولوا : « قد أبينا ! » فشرُّ مواطن الحسب الاباءُ ! [٥]
وان الحقّ مقطعه ثلاثٌ : يمينٌ، او نِفارٌ، او جلاءُ ! [٦]

١) القوم : الرجال دون النساء . آل حصن : القوم الذين أراد هجاءهم . — المعنى : ما ادري ارجال آل حصن ام نساء . ثم قال : وسوف إخال ادري . يعني : سأبحث عن حقيقة امرهم حتى اتبينه . وانما جزأ جزم . لان النساء ، في عرفه ، اقل قيمة من الرجال لان من شأنهنّ الغدر وقلة الوفاء . ولا يصلحن الا للتخبئة والزواج ، كما يشير في البيت التالي .

٢) المُحصنة : ذات الزوج ، او البكر . هداء : زفاف العروس الى زوجها . — فان قال آل حصن : نحن النساء اللواتي يختبئن ، فينبغي اذًا ان يزوّجن ويهدين الى ازواجهنّ ، لانهنّ لا يصلحن لغير ذلك .

٣) بنو مَصاد : من بني حصن . اليكم : تنحّوا عنا فلا سبيل لكم علينا . بَراء : اي مما وصمونا به من الغدر .

٤) قد وفينا : اي نفي بما عندنا فنعوّض .

٥) قد أبينا : اي ابينا الوفاء . فشرّ مواطن . . . : اي للحسب خصال عديدة منها الكرم والحلم . . . ولكن شرّها الاباء . يريد بالابيات الاربعة ان يصف موقف بني حصن تجاه تلك الشكوى ، فاما ان يكونوا نساء لا يصلحون لشيء ؛ واما ان يقولوا : نحن براء مما قرّفتمونا به ؛ واما ان يقولوا : نفي بما عندنا مقرين بالذنب واما ان يأبوا ذلك . ثم يذكر بيتاً حكمياً يلخص فيه خلاصة التقاضي .

٦) اي ان ما يقطع الحق المُختلف عليه فيظهره ثلاثة امور : حلف اليمين

فذلكم مقاطع كلّ حقّ ثلاثٌ كلهنّ لكم شِفاء .[1]
فلا مستكرهون لما منعتمُ ، ولا تُعطون الّا ان تَشاؤوا [2]
جوارٌ شاهدٌ عدلٌ عليكم ، وسيّان الكفالةُ والتَلاء ! [3]
بأيّ الجيرتين أجرتموه ، فلم يصلح لكم الّا الأداء !
وجارٍ سار معتمدًا اليكم أجاءته المخافةُ والرجاء ، [4]
فجاور مكرَماً ، حتى اذا ما دعاهُ الصيفُ وانقطع الشتاء ، [5]
ضمنتم ماله ، وغدا جميعاً عليكم نقصُه ، وله النماء . [6]
ولولا ان ينال ابا طريفٍ إسارٌ من مليكٍ او لحاء ، [7]

والتنافر اي التقاضي الى رجل يتبين صحيح الخصومة ، والجلاء اي ان ينكشف الامر وينجلي فتُعلم حقيقته .قيل كان عمر بن الخطاب يعجب بهذا البيت . وقال ابن رشيق (العمدة ١ : ٣٠) « سُمي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت ! »

١) شِفاء : اي شفاء من الالتباس والشكّ .

٢) اي انتم غير مُكرهين على اعطاء ما منعتم من مال الرجل ، انما تدفعون ذلك اذا شئتم . وقد لين لهم القول بعد ان توعّدهم ليستميلهم بذلك .

٣) التَلاء : الحوالة . المعنى : ان جوار هذا الرجل لكم مشهور فهو يشهد عليكم وشهادته حقّ . وسواء كانت جيرتكم له من نوع الكفالة او من نوع التَلاء ، فالواجب عليكم ان ترجعوا له ماله . وقد شرح هذا المعنى بالبيت التالي .

٤) يشرح حال الجار أجاءتــه . . . : اي صيّره اليكم خوفه من غيركم ورجاؤه فيكم.

٥) اي اكرمتموه طول الشتاء . وكانوا يتجادرون في الشتاء خاصة.

٦) وقد ضمنتم ماله فحقّ عليكم ان تكون الزيادة له ، وان تتمّوا مــا ينقص منه.

٧) ابو طريف : هو الرجل الذي كان في بني حصن . اي لولا ان تشدّوا الاسر على هذا الرجل ،

لقد زارت بيوت بني عليم   من الكلمات آنية ملاء ؟ (١

تجمع أَيْمُنٌ منا ومنكم   بمُقسمةٍ تمورُ بها الدماء . (٢

٢٢٥ ستأتي آل حصن ، حيث كانوا ،   من المَثُلات باقيةٌ ثِناء (٣

فلم أرَ معشرًا أسروا هديًا ،   ولم أرَ جار بيتٍ يُستباء ، (٤

وجارُ البيت والرجلُ المنادي ،   امامَ الحيّ ، عقدُهما سواء (٥

ابى الشهداء عندك من معدٍّ   فليس لما تدبّ له ، خفاء ! (٦

تُلجلجُ مُضغةً فيها أنيضٌ ،   أصلّت ، فهي تحت الكشح داء ؟ (٧ ١

---

١) لهجوتكم بقصائد مملوءة شرًّا . بنو عُلَيم : قوم من القبيلة المهجوّة .

٢) تجمع أيمن : اي تجمع منكم أيمان ومنا أيمان على هذا الحق المختلف عليه . ويكون ذلك بالمُقسمة : اي مكة ' التي تسيل بها الدماء : اي دماء الضحايا .

٣) المَثُلات : ج . مثُلة : المقالة او الفعلة التي يُمثل فيها بانسان اي يُسبّ وينكل به . باقية : تبقى على الدهر . ثِناء : اي تُثنى وتُطوى : يعني تردّد مرةً بعد مرة . يريد انه يهجوهم بقصائد تمثل باعراضهم ' ويردّدها القوم فيهم زمنًا طويلًا .

٤) الهدي : ذو الحرمة المستجير بالقوم . يُستباء : اي تؤخذ امرأته .

٥) المنادي : المجالس وهو من النادي – اى ان حقّ الرجل المجاور والمجالس واحد .

٦) تدبّ : تخفى . اي ابى من شهد الامر عندك من معدّ الا ان يشهدوا بالحق . وهو امر واضح لا يخفى لصحة دلائله .

٧) تُلجلج : اي تردّد في فمك . المضغة : البضعة من اللحم . الانيض : الذي لم لم ينضج . أصلّت : انتنت – المعنى : اخذتَ هذا المال فلا انت تذهبه ولا تردّه . شبّهه بقطعة من اللحم النيئة المنتنة التي تكون عاقبة اكلها وخيمة فتربي علة داخلية .

٢٣٠ غصِصت بِنَيِّها،فبشمتَ منها ؛ وعندكَ ، لو اردتَ ، لها دواءُ ! [١]
واني لو لقيتُــكَ فاجتمعنا ، لكان لكل مُندِيَةٍ لقــاءُ ، [٢]
فابرئ موضحات الرأس منه ، وقد يشفي من الجربِ الهنــاءُ ! [٣]
أفهلًا ، آلَ عبد الله ! عَدّوا مخازيَ لا يُدبّ لها الضَراء [٤]
رونا سُنَّة لا عيبَ فيها يسوّي بيننا فيها السواءُ ! [٥]
٢٣٥ فان تدعوا السواءَ،فليس بيني وبينكم ، بني حصنٍ ، بقاءُ ! [٦]
ويبقى بيننا قَذَعٌ ، وتُلفَوْا اذًا قوماً بانفسهم أساؤوا ، [٧]
وتوقدْ ناركم شررًا ، ويُرفعْ لكم ، في كل مجمعةٍ ، لواءُ ! [٨]

---

١) بشمت منها : اي لما تناولتها نيئة ثقل عليك هضمها . ثم يقول : ولكن لهذا الداء دواء ، اذا شئت ، وهو ردّ المال فتحمي عرضك وتتقي اللوم والهجاء .

٢) المُندية : الداهية التي تُندي صاحبها عرقاً لشدّتها . لقاء : اي شيء يُتلافَى به حتى يصلح الله امرها .

٣) الهِناء : القطران . الموضحات : الشجاج التي تكشف عن بياض العظم . — المعنى : لو لقيتك لكنت ابرئ ما في صدرك من الالتواء ومنع الحق كما يبرئ الهناء الجرب .

٤) آل عبدالله : القوم المذكورون . عَدُّوا مخازي : اي اصرفوا عنكم هذه المخازي التي لا تخفى بالضراء : الشجر الذي يُتوارى فيه .

٥) السواء : العدل .

٦) اي ان تتركوا العدل ، فلا بقاء بيني وبينكم ، اي لا يبقي بعضنا على بعض

٧) القَذَع : القبيح من القول . وتلفَوا : اي تروا انكم اسأتم الى انفسكم .

٨) توقد ناركم شررًا : اي يظهر امركم في الناس . ويرفع . . . : اي يظهر امركم في المحافل ويشهر غدركم .

القسم الرابع

الفخر والتهديد

الى بني تميم

بلغ الشاعر ان بني تميم يريدون غزو غطفان ، فقال :

ألا أبلغْ لديــك بني تميمٍ   وقد يأتيــك بالخبرِ الظَّنونُ ! [1]
بأنّ بيوتَنا بمحلّ حَجرٍ   بكل قرارةٍ منها نكونُ [2]
الى قَلَهى تكون الدار منا ،   الى اكناف دُومة ، فالَحجونُ ، [3]
بــأودية اسافلهنّ روضٌ   واعلاها ، اذا خفنا ، حصونُ .
نحلّ بسهلها ؛ فاذا فزعنــا ،   جرى منهنّ بالأصــلاء عُونُ ، [4]
وكلُّ طوالةٍ واقبَّ نهــدٍ   مراكلُها من التعداء جُونُ ، [5]

---

١) الظَّنون : الذي لا يوثق بما عنده ، وقد تقدّم شرحه .

٢) حَجر : موضع في شقّ الحجاز . القرارة : المطمئن من الارض . بكل قرارة . . . : هي دارنا فنحلّ منها بما نشاء .

٣) قَلَهى ، ودومة ، والحجون : اسماء اماكن – اي ننزل بهذه المواضع ، ونتسع فيها .

٤) الاصلاء : مواضع في ارض بني سليم ويروى : بالآصال : ج . أصيل : العشية . عُون : ج . عانة : في الاصل جماعة الحمير ، اراد بها جماعة الخيل .

٥) طوالة : اي فرس طويلة . كلّ طُوالة وما يليه : معطوف على عون . الاقبّ : الضامر البطن . النَهد : العظيم الخَلق . المراكل : مواضع اعقاب الفرسان . التعداء : شدّة العدو ، الركض . جُون : ج . جَون : الاسود ، اي شعرها اسود من العرق

تُضبَّر بالاصائلَ كلَّ يومٍ ، تُسنّ على سنابكها القرونُ (1)
وكانت تشتكي الاضغانَ منها الـ لَجونُ الخَبُّ ، واللحِجُ الحَرونُ ، (2)
وَخرَّجها صوارخ كلَّ يومٍ ، فقد جعلت عرائكها تلينُ ؛ (3)
وعزّتها كواهلها ، وكلّت سنابكها ، وقدّحت العيونُ (4)
اذا رفع السياطُ لها ، تمطّت ؛ وذلك من عُلالتها متينُ . (5)
ومرجعُها ، اذا نحن انقلبنا ، نسيفُ البقلِ واللبنُ الحقينُ ! (6)
فقرّي في بلادكِ ! إنّ قوماً متى يدعوا بلادَهم يهونوا ؛ (7)

---

١) تُسنّ : تُصبّ . السنابك : ج . سنبك : مقدم الحافر . القرون : ج . قَرن : الدفعة من العرق . — تُصبّ على حوافرها من شدة الجري .

٢) الاضغان : ج . ضِغن : الحقد . استعاره لوصف ما كان في الخيل من الامتناع على اصحابها في اول الامر . اللَجون : الثقيل ، البطيء ، ومثله الخَبّ . اللحج : الضيق النفس السيء الخُلق . — المعنى : ان هذه الخيل كانت مهملة في مراعيها فكانت لنشاطها ، تمتنع على اصحابها فيظهر فيها البطء ، وسوء الخُلق ، وعدم الانقياد ، حتى ضمّروها فلانت واستقامت .

٣) خرّجها : درّبها ، عوّدها . صوارخ : ج . صارخ . العرائك : ج . العريكة : الطبيعة .

٤) عزّتها كواهلها : اي صارت رفيعة من الهُزال لكثرة دؤوبها في السير .

٥) تمطّت : تمدّدت . العُلالة . ما تُعطي الخيل من الجري بعد ان تبذل جهدها . — المعنى ان الخيل أعيت حتى لو رفعت لها السياط تمدّدت دلالة على انها لا تقدر على العدو ، ولكنها تجري ايضاً . وهذا الجري ، وان كان من عُلالتها ، فهو متين .

٦) انقلبنا : رجعنا . — اي اذا رجعنا من الغزو اطعمناها ما يسمنها وهو نسيفُ البقل : البقل الذي لم يكبر بعد فهي تنسفه باسنانها ، واللبن الحقين : الذي حُقن اي حفظ في السقاء . ينهي بهذا البيت وصف خيلهم ثم يخاطب بني تميم .

٧) فقرّي : اقيمي ، الضمير لبني تميم يقول لها ، بعد ان فخر بقومه ووصف

او انتجعي سناناً حيث أمسى ، فـان الغيثَ منتجعٌ مَعينُ . (١

متى تأتيه تأتي لُجَّ بحرٍ تَقاذَفُ في غواربه السفينُ (٢

لهُ لقبٌ ، لباغي الخيرِ ، سهلٌ ؛ وكيدٌ ، حين تبلوهُ ، متينُ ! (٣

الى بني هوازن وبني سُليم

بلغ الشاعر أن بني هوازن وبني سُليم يريدون الاغارة على غطفان ، فقال :

رأيت بني آل امرئ القيس أصفقوا علينا ، وقالوا : اننا نحن اكثرُ : (٤

سُليمُ بن منصورٍ ، وأفناءُ عامرٍ ،

وسعدُ بن بكرٍ ، والنُصورُ ، وأعصُرُ .

خذوا حظَّكم ، يا آلَ عِكرِمَ ، واذكروا

أواصرَنا ، والرحمُ بالغيب تُذكرُ (٥

خيلهم : ابقي في بلادك ولا تعرّضي نفسك للهوان بنزوك قومنا . او ، اذا شئت الربح على كل حال ،

١) فاقصدي سناناً — وهنا ينتقل الى مدح سنان بن ابي حارثة المرّي — فانه كالغيث : المطر . المعين : الغزير . ثم يتابع مدح بطله .

٢) لجّ البحر : معظمه . تقاذف : اي تتقاذف . غواربه : امواجه .

٣) له لقب . . . : اي لقبه سهل الحفظ وهو يُعرف به عند بُغاة الخير . اما اذا اصابه احد بسوء ، فكيده شديد عند ذلك .

٤) بنو آل امرئ القيس : هوازن وسُليم ، وعنهما تتفرّع الاحياء التي عدّدها في البيت التالي . أصفقوا : اجتمعوا

٥) بعد ان عدّد احياء الاعداء خاطبهم فقال : خذوا . . . : اي اصيبوا نصيبكم من صلة القرابة ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم . الاواصر : القرابات . آل عِكرِم : عِكرِم ترخيم عِكرمة وهو من جدود القبائل المذكورة . والرحم بينهم وبين قوم الشاعر اذهم جميعاً من مُضر .

خذوا حظَّكم من ودّنا ، إنْ قُربنا ، اذا ضرّستنا الحربُ ، نارٌ تسعَّرُ [١]

وإنّا وإياكم الى ما نسومكم لمثلان ، او انتم الى الصلح افقرُ ! [٢]

اذا ما سمعنا صارخاً ، مَعَجت بنا الى صوته وُرْقُ المراكلِ ، ضُمَّرُ . [٣]

وإن شُلّ رَيعان الجميع مخافةً ،
نقول جهارًا : ويلكم ، لا تنفّروا ! [٤]

على رسلكم ! انا سنُعدي وراءكم فتمنعكم ارماحنا ؛ او سنُعذِرُ . [٥]

وإلّا ، فإنّا بالشَّرَبّة فاللِوى ، نعقّر أُمّات الرباعِ ، ونَيْسِرُ . [٦]

---

١) ضرّستنا : عضّتنا باضراسها ، اي اشتدّت .

٢) نسومكم : نعرض عليكم — المعنى : نحن وانتم مثلان في الاحتياج الى الصلح ، ثم يقول : ولعلكم انتم احوج الى ذلك منا لما تعلمون من شدّة بأسنا .

٣) معجت : مرّت مرًا سريعاً في سهولة . وُرق : ج . أورق : أسود . المراكل : مواقع اعقاب الفرسان من بطون الخيل . وقد مرّت هذه الصورة في القصيدة السابقة . وورق المراكل ، وضمّر : وصف للخيل المحذوفة .

٤) شُلّ : طُرد . ريعان : كل شيء : أوّله . لا تنفّروا : لا تطردوا — المعنى : ان احسّ القوم بالعدو فاخذوا يطردون اوائل ابلهم ويصرفونها عن المرعى خوفًا من وقوعها بايدي الاعداء ، صحنا بهم : ويلكم لا تطردوها ، لاننا نحميها ونقاتل دونها

٥) على رسلكم : على مهلكم . سنُعدي : اي سنركض الخيل . سنُعذر : من أعذر الرجل في الامر اذا اتى فيه منتهى جهده فبلغ العذر إذا قصّرَ . — يتابع الكلام فيقول : تمهّلوا قليلًا بطرد الابل فاننا سنتبعكم بالخيل فنصرف عنها العدوّ ، او اننا نقتل في سبيل الذود عنها فنبلغَ العذر .

٦) والا : اي ان لم يكن حرب . فاننا نكون في منازلنا من ارض الشَّرَبّة واللوى ، نلهو آمنين فننحر النوق الكريمة من أمات مواليد الربيع ، ونلعب بالميسر .

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الثالثة

ظهر حتى الآن

يظهر قريباً